

فتحى الإبيارى

الموسوعة المحمدية

رؤية علمية معاصرة ، لأحداث سيرة
نبيع الحب فى الوجود سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وتصحيح ما
رواه المؤرخون ومواجهة مؤامرات
اليهود والمنافقين والموتورين عبر
التاريخ



رئيس التحرير
فتحي الأبياري

﴿ الموسوعة المحمدية ﴾

[الجزء الأول]

لماذا هذه الموسوعة المحمدية ؟؟

فتحي الإباري

**** إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء . وقد هداني الله ، وشمّلني برعايته ، ورضاه ، بعد أن غسلني وأنا مريض طوال أربعة أشهر ، بلا حراك .. عام ١٩٨٠ . ثم دعاني إلى زيارة بيته العتيق ، وزيارة الحبيب المصطفى ، نبع الحب في هذا الوجود ، وهاذي البشرية جمعاء ، إلى الحب العظيم الخالد .. الله سبحانه وتعالى .**

وتكررت دعوات الله لي في عمرات .. وحج ، وفي كل مرة تغتسل روحي ونفسي من كل ما علق بها من شوائب الدنيا الفانية .

وفي عام ١٩٨٠ ، وأنا جالس أمام الكعبة .. أحسست أنني مكلف بشئ هام .. وأنا أتأمل الكعبة وكان الوقت يقترب من صلاة المغرب .. والطيور تطير حول الكعبة كأنها تطوف مع الطائفين والجميع يسبحون .. والبعض يطوف بالبيت .. وتعلقت عيناي بأستار الكعبة .. وكأنني أقرأ سيرة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ ، وكفاحه ، وآلامه ، في إبلاغ الرسالة التي كلفه بها الله سبحانه وتعالى ، لهداية البشرية في كافة أنحاء الأرض . وخطر بذهني سؤال : لماذا تعاد كتابة السيرة النبوية الشريفة من منات الكتاب ؟ إن حياة نبع الحب في الوجود قد سجلتها كتابات ابن اسحق ، ثم ابن هشام . ومع ذلك ، صدرت منات الكتب عن الحبيب المصطفى ، ولن تنتهي هذه الكتب حتى ينتهي العالم . لماذا ؟

ولا شك في أن كل كاتب يتناول السيرة المحمدية له رؤية خاصة وهذه الرؤى تلقى الأضواء على جوانب كثيرة من شخصية الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ ، الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى عن كل الخلق ، وأوصله إلى سدرة المنتهى .. التي لم يصل إليها أي نبي حتى أن جبريل ملك الملائكة لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة والا احترق تماما ، لأنها بداية رؤية الله سبحانه وتعالى .. فوق عرشه الإلهي .

ومنذ تلك اللحظة بدأت أجمع كل ما كتب عن الرسول الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ .. شرقا وغربا وتجمع له ، ما يقرب من خمسمائة كتاب وفي عام ١٩٩٣ .. فوجئت بأخي الشاعر الكبير فاروق شوشة عندما تولى رئاسة الإذاعة يطلب مني بأن أقدم مسلسل " المحمديات " في رمضان

وبدأت الإنطلاقة المحمدية ، وقدمت ما يقرب من مائة وخمسين حلقة ، أذاعتها بعض إذاعات الدول العربية . وصدرت فى أجزاء من هيئة الكتاب . والمسلسل عبارة عن رحلة مع الكتاب والمفكرين والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم ، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة : سيرة خاتم الأنبياء والرسل .. سيدنا محمد ﷺ

واستمرت سيرة المحمديات ، إلى أن حاول أحد غريبان الحياة إيقافها ولكن " المحمديات .. ظلت باقية للرد على دعوة الظلام . وانطلقت " محمديات " يوميا فى رمضان أيضا ، فى إذاعة الشرق الأوسط ، برئاسة عائشة الرسول إيناس جوهر ، فأكرمها الله بعد ذلك برئاسة الإذاعة لأقدم المسلسل اليومى " الموسوعة المحمدية " وترعاها انتصار شلبى رئيسة الشرق الأوسط فما هو الجديد ؟.. ولماذا هذه " الموسوعة المحمدية " .

لقد وجدت من خلال اطلاعاتى ، وقراءاتى المختلفة للكثير من المؤرخين ، والباحثين ، أن هناك بعض الأخطاء ، وبعض المواقف ، وبعض الأحداث تحتاج إلى كثير من التوقف ، والبحث ، والتحليل والتصحيح . وأن سيرة الحبيب المصطفى ﷺ ، إنما هى سيرة الحب الممثلة فى نبع الحب فى هذا الوجود سيدنا محمد ﷺ ، لهداية البشرية جمعا .

وكانت مراحل حياة هذا الرسول الذى كلفه الله سبحانه وتعالى بدعوة الحب لإنقاذ الإنسان من حبائل الشيطان الذى تبلورت حياته فى غواية الإنسان ، لمعصية رب الكون ، ودفعه الى نار جهنم . فى حين أن دعوة محمد ﷺ هى انقاذ الإنسانية جمعا من شرور هذا الشيطان واتباعه وكانت معجزته .. هى القرآن الكريم .. أو الشفرة الإلهية التى ترشد الإنسان الى طريق الحب ، والنعيم والجنة .

محمد ﷺ .. إسم من الحمد .. والشكر .. الحمد لله .. وهو أحمد ..
أى من الحمد أيضا .. وهذا الإسم أوحى الله به الى جده عبد المطلب .. فكان إسم غريبا بين العرب .

وقد وقعت أحداث وأحداث فى مسيرة نبع الحب .. سيدنا محمد ﷺ تحتاج بعضها الى التصحيح ، والتحليل وخاصة ما حاول المستشرقون المغرضون ، والموتورون واليهود أيضا .. إثارتة للنيل من حياة الرسول الكريم محمد ﷺ .. مثل اشاعة خبر كاذب يقول إن عائشة رضى الله عنها كانت فى التاسعة ، والثابت أنها كانت تقترب من الثمانية عشرة . وحملوا على تعدد زوجاته وكن جميعا أرامل ما عدا عائشة .. وقد تبادرت عدة أسئلة

منها .. لماذا زوج الله الرسول الكريم عائشة وهي صغيرة تقترب من الثمانية عشرة من العمر . وكانت متقدة الذكاء ، والفطنة ، لحكمة إلهية ، وقد تساءلت ومعى الكثيرون .. لماذا لم تنجب السيدة عائشة رضى الله عنها؟ وهي البكر الوحيدة التى تزوجها الحبيب المصطفى من المسلمات . وقد أنجبت السيدة خديجة رضى الله عنها كل أولاده السبعة ما عدا إبراهيم من مارية القبطية .. وقد كانت خديجة رضى الله عنها متزوجة قبله من رجلين ولها أولاد .

وقد دس الموتورون قصة " الغرائيق " على السيرة النبوية الطاهرة ، ورواها عنهم بعض مؤرخى السيرة فى غفلة .. !! وقد تناولتها بالتحليل ، والنقد ، وقد انكشفت هذه الأكذوبة الدنيئة .

وهناك أيضا بعض المواقف فى مسيرة السيرة النبوية الطاهرة ، مثل شق الصدر ، والإسراء والمعراج .. التى تكشف عمق الإيمان المطلق عند المسلم . وما أروع ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حينما ابلغوه بقصة الإسراء والمعراج . فقال :

- أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم قال أبو بكر : لقد صدق .. !!

وكانت واقعة الإسراء والمعراج ، هدية من الله سبحانه وتعالى للرسول الحبيب المصطفى ، بعد أن ذهب إلى الطائف ليدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد ، سبحانه وتعالى ، فقوبل بالرفض ، بل لقد سلطوا عليه الأولاد يقذفونه بالحجارة ، فسال الدم من قدميه ، وشج رأسه ، وارتكن إلى حائط يدعو الله سبحانه ، الذى استجاب لدعائه .

اللهم إنى أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربى ورب المستضعفين .. إلى من تكلنى .. إلى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى .. إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ...!!

ودعاه الله الى سدره المنتهى التى لم يصل إليها أحد من الأنبياء . وجعله يصلى بكل الأنبياء . تأكيدا لوحدة الأديان التى أنزلها الله سبحانه وتعالى .

ويزعم بعض المستشرقين الموتورين ، وأعداء الرسول ومنهم اليهود بالطبع ، أن قصة الإسراء والمعراج خرافية ، وكان القرآن الكريم قد رد هذه الإفتراءات الى صدورهم السوداء .

واختلف البعض .. هل كانت رحلة الرسول ﷺ بالروح فقط أم بالجسد والروح فقط ، وقد تناولت ذلك بالتحليل ، ومناقشة كل ما رده ضعاف الإيمان ، وشكك في ذلك الموتورون ، وأعداء الرسول والإسلام .

ورغم كل ذلك ، وبعد مرور خمسة عشر قرنا على بدء دعوة محمد ﷺ لعبادة الواحد الأحد ، وللإسلام ، أصبح الإسلام يعم أرجاء الكرة الأرضية ، رغم المؤامرات ، والحرب ضد الإسلام ، وضد الرسول ، وضد القرآن الكريم .

وكشفت مسيرة السيرة النبوية الطاهرة عن وجه اليهود البغيض ، ومؤامراتهم التي لم تنته ، بل لقد حاولوا قتل الرسول ﷺ وتآليب القبائل العربية عليه ، وعلى رأسها قريش ، ووقعت غزوة الأحزاب . وكانت خيرا على المسلمين ، ورب ضارة نافعة ، فقد حاصر المسلمون اليهود وأجلوهم عن يثرب ، وقسم أموالهم ووزعهم بين المهاجرين ، وأجلى الرسول الكريم ﷺ قبائل اليهود (بنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو النضير) والأجلاء مكتوب على اليهود من قديم الأزل ، فقد أجلى " سرجون الثاني " ملك آشور جزءا منهم عن فلسطين سنة ٧٤١ ق.م . وطردهم أيضا بختنصر من ديارهم ٥٨٦ ق.م . وكذلك الإمبراطور تيتوس امبراطور روما سنة ٧٥ للميلاد ، وطردهم منها نهائيا الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ للميلاد . لماذا؟ لأن اليهود دائما يثيرون الفتن ، والحروب ، والمؤامرات بين الشعوب . وآخرها ما زعموا أن هتلر ، قد حرقهم في الأفران ، وعذبهم ، هذه هي طبيعتهم التي لا يتخلون عنها ، وآخرها .. ما يقومون به من مذابح للفلسطينيين وقتلهم وتشريدهم ، معتمدين على أمريكا .. القوة الكبرى .. التي سوف تزول حتما طبقا لدورة التاريخ !!

وقد أعد الرسول الكريم ﷺ في السنة السابعة للهجرة من المحرم جيشا ممن كان مع من الحديبية ، لغزو خيبر معقل اليهود الحصين ، وكان عداد الجيش ألفا وأربعمائة رجل ، ومائتي فارس . واستطاع الرسول الكريم أن ينتصر على يهود خيبر في ثلاث مناطق حصينة على رؤوس الجبال هي " النطاة ، والشق ، والكتيبة ، وفي تلك الفترة صنع الرسول ﷺ لسناء اليهود وبناتهم مكرمة عظيمة إذ حرم على رجال جيشه زواج المتعة باليهوديات ، وكان يهود خيبر قد جمعوا في هذه الحصون نساءهم وذرياتهم .

وارسل الرسول ﷺ كتبه الى امراء العرب شمالا الى الغساسنة وجنوبا الى ملوك اليمن ، وأسلم نصارى نجران وحاكما عمان وأمير البحرين وأهلها ، وأمر الرسول ﷺ أن يدفع المجوس هناك الجزية مثل أهل الكتاب .

ويقرر القرآن الكريم مرارا أن الإسلام دين عالمي ، وأن الرسول ﷺ مرسل الى الناس جميعا ، مما جعل الرسول يدعو ملوك الدول الأجنبية الى الإسلام : ملك الحبشة وملك فارس وقيصر الروم ، والمقوقس حاكم مصر . ورحب الأخير بحامل كتابه اليه وبعث له بهدية (مارية القبطية) .

ثم نرى بعض مؤرخي السيرة - لغفلتهم - يروون فرية على الرسول الكريم دسها اليهود ، وهى أن أحدهم سحره ، وكأنهم لم يقرءوا آية المائدة : " والله يعصمك من الناس " . فكيف يكون رسولا ومعصوما ويسحره يهودى . وهى أكذوبة واضحة .

وهناك أيضا حادثة زينب بنت الحارثة اليهودية زوجة سلام بن مشكم التى حاولت قتل الرسول ﷺ بالسسم الذى وضعته فى الشاه التى قدمته له كهدية .

وهناك الكثير .. والكثير .. مما فعله اليهود منذ ايام الرسول ﷺ ، وعداوتهم له ، ولدعوتهم للإسلام .. وحتى الآن . ولكن الله خير حافظا للرسول ﷺ .. وللإسلام .. وللقرآن ..

وخلال غزوة مؤتة الموجهة الى الروم فى الشام فى السنة الثامنة للهجرة أوصى الرسول ﷺ الجيش بأن يتمسك بقوانين الحرب الإسلامية الحضارية .

فلا يغدر أحدهم بعدو ، ولا يخون فى غنيمة ، ولا يقتل امرأة ، ولا صبيا ولا راهبا ، ولا كبيرا فانيا ، ولا يقلعوا شجرة ..

وفوجئ جيش المسلمين فى مؤتة بفلسطين بأعداد كبيرة من جيش الروم . ودارت المعركة ، فاستشهد امراء الجيش الثلاثة : زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبى طالب . وانقذ خالد بن الوليد الجيش وعاد به الى المدينة .

وتتابعت احداث مسيرة السيرة النبوية الشريفة ، وتتابعت المعارك ، وتم فتح مكة ، وهدمت الأصنام جميعها ، وتطهرت الكعبة .. ببيت الله ، من كل أباطيل الجاهلية ، وخرافاتهما .

ثم قيام الرسول ﷺ بحجة الوداع، في ذى الحجة من السنة العاشرة ، وفي خطبة حجة الوداع .. تضمنت الأوامر والنواهي . وأولها : حرمة الدماء والأموال والأعراض ، وتحريم الربا ، وأداء الأمانة ، وتحريم طلب الثأر ، وحكم القتل ، وتحريم النسيء وهو تأجيل بعض الأشهر الحرم ، والتوصية بالمعاملة الرقيقة للنساء ، واستوصوا بالنساء خيرا ، وواجبات الإخوة بين المسلمين والنهي عن الشقاق بينهم . وإبطال العنصرية بإطالا نهائيا فلا عربى وغير عربى ، ولا أبيض ولا أسود .

ونزلت على الرسول ﷺ وهو على جبل عرفة آية الدين (البقرة ٢٨٢) " اليوم أكملت لكم دينكم " .

ثم مرض الرسول ﷺ .. وشكا من الصداع ، واستأذن زوجاته في أن يمرض ببيت عائشة .. وخرج الى البقيع ليلا لتوديع الشهداء . ثم اشتدت عليه الحمى ، واخذ يقول :

" اللهم اعنى على كرب الموت وسكراته " وجعل يكرر .. إلى الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " .

ثم شخصت عيناه ولم تطرفا . وسقط رأسه في حجر عائشة . فعرفت أنه لبي نداء ربه . فوضعت رأسه في رفق على وسادة ، وأغلقت عينيه ، وقبلت جبين زوجها .. نبع الحب فى الوجود الذى شغفت به .. رسول الحب الأصيل فى هذا العالم .. وغطت جسده ببردة والدموع تسيل على خديها ، وتماسكت ، وانطلقت الى فناء كانت نساء الرسول ينتظرن فيه الأخبار فى قلق . وابلغتهن النبأ الأليم ، وعلا الصياح والبكاء فى دور نساء الرسول ﷺ .

وهذه الموسوعة المحمدية .. هى رؤية علمية معاصرة ، لمسيرة سيرة نبع الحب فى الوجود ، سيدنا محمد ﷺ . وتصحيح ما رواه المؤرخون ومواجهة مؤامرات اليهود والمنافقين والموتورين عبر التاريخ .

والله الموفق ،،،

فتحى الإبيارى

٢٧ رمضان ١٤٢٦
٣٠ أكتوبر ٢٠٠٥م

مولد النور

متى ولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟
فى يوم الإثنين .. فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق
٥٧١ ميلادية .

أشرق على الدنيا نور محمد صلى الله عليه وسلم .
وضعت أشراف عقيلة فى قريش ..
أمنة بنت وهب .
وضعت يتيما ..

لقد توفى أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين فى بطن أمه ..

ذلك أن عبد الله قد خرج الى بلاد الشام ، إلى غزة ، فى قافلة
قريش . ففرغوا من تجارتهم ، ثم إنصرفوا عائدين ، فمروا بالمدينة
وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض .

فقال : أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار .
فأقام عندهم مريضا شهرا . ومضى أصحابه ، فقدموا مكة .
فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله .
فقالوا : خلفناه عند أخواله بنى النجار ، وهو مريض .
فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفى ودفن
فى دار النابغة ، فرجع إلى أبيه فأخبره .
فحزن عليه عبد المطلب وإخوته وأخوانه حزنا شديدا ، ورسول الله
ﷺ ، يومئذ جنين ، وكان عمر عبد الله بن عبد المطلب حين توفى خمس
وعشرون سنة .
وكان ذلك أول بلاء يواجهه الطفل الوليد .. وإن كان لا يدرك شيئا عن
تلك المعانى .. إلا أن المقادير كانت تدرى ، وكانت تؤهله لأمر عظيم ..

والهمهم الله عز وجل أن سموه محمدا ..

ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى ، فى الصورة
والمعنى ..

شعاع الحب الإلهى

إن السيرة النبوية الشريفة ، مليئة بمواقف الحب الذى نفتقده هذه الأيام .

لقد نالت حليلة السعدية رضى الله عنها من رحمته ﷺ ، ما أبدل حالها إلى خير حال .

قدمت حليلة بمكة المكرمة ، مع صاحباتها يلتمسن الرضعاء من ذوى الغنى والجاه ، فأخذت كل منهن رضيعا ، إلا حليلة ، وتركهن محمدا لأنه يتيم .

وعندما رأت حليلة الرضيع محمد .. اليتيم ، أصابها شعاع الحب الإلهى الذى يشع من محمد اليتيم . فقالت لزوجها :

- سأخذ هذا اليتيم .
- فرد عليها زوجها : عسى أن تكون فيه بركة ..

وحملت حليلة محمد اليتيم فى حجرها ، ولم تدر أن الخير والبركة قد حلت بها ، لأنها حملت الحب الصافى فى هذا الوجود .

وأبدلها الله بعسرها يسرا ، وبضيق العيش سعة وفرحا . وقد عبرت عن الرحمة والحب فقالت :

- فلما أخذته ، رجعت به الى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى ، أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وقام زوجى إلى الشاه ، فوجدها مليئة باللبن ، وكانت عجفاء ، فحلب منها ، ماشرب وشربنا معه حتى انتهينا ريا ، وشبعنا.. وقال زوجى .. تعلمى يا حليلة .. لقد أخذت نسمة مباركة .

وفى ديار بنى سعد ، تنزلت الرحمات لما قدم إليها محمد نبي الرحمة ، والحب . ونزل الغيث ، واهتزت الأرض وربت ، وانبتت الكلا والعشب ، وكانت من قبل جدباء ، لاترى العين للحياة فيها أثرا . وبدأت الرضاعة من حليلة بنت ذؤيب من بنى سعد فى البادية.

لقد رعاك الله يا حبيب الرحمن يتيما ..
ونشر الحب .. والخير .. على كل من حولك .. وأنت ما زلت رضيعا!

وأعماهم الله

فى سوق عكاظ .. كانت حليلة مرضعة سيدنا محمد ﷺ ، جالسة بين بعض النسوة ، وهى تحمله على صدرها ، وقالت لها إحدى النسوة :

- من هذا الصبى ؟
- هو يتيم لا أب له .. لقد مات قبل مولده .
- إنا لنرجو أن يكون مباركا
- إنه لكذلك .. وقد رأينا بركته .. وأشعة حبه ..
- كيف ذلك ؟
- كنت لا أروى إبنى من لبنى ، فهو وابنى الآن يرويان .. ولو كان معهما ثالث لروى .. لقد طلبت منى أمه السيدة آمنة أن أسأل عنه العراف .
- وماذا عن أشعة الحب التى رأيتها ؟
- أول ما رأيته .. تسرب شعاع من وجهه الصبح .. إلى سويداء قلبى .. ارتجف قلبى .. وخفق بشدة . وتعلقت به عندما حملته بين يدي .. وأحبه كذلك زوجى وأولادى .. وكل من حولنا .
- ولماذا طلبت السيدة آمنة منك أن تعرضيه على كاهن .
- إنها من عاداتنا ..
- هلمى ..
- يوجد عراف من "هزيل" فى السوق يريه الناس صبيانهم .
- وتنهض حليلة بمحمد ، وتتجه الى العراف ، وتقول له :
- أيها العراف .. انظر الى هذا الصبى .. وأخبرنى عنه .
- إذن من هذا الصبى ؟
- هو يتيم مات أبوه قبل ولادته
- ويصيح " العراف " يا معشر هزيل .. يامعشر العرب ..
- مالك ؟ .. مالك .. ؟
- اقتلوا هذا الصبى ..
- وتبتعد حليلة بمحمد قائلة . وا ولداه .. ويقترب الناس من العراف ، ويلتفون حوله ، ولا يرون شيئا ويقولون : أى صبى ؟
- هذا الصبى .. اقتلوه .. اقتلوه ..
- الناس لا ترى شيئا .. لقد أعماهم الله سبحانه وتعالى .. ليحمى الحب كله الذى أهده للبشرية جمعاء

وعاد محمد ﷺ إلى أمه

تقول حليلة السعدية مرضعة محمد ﷺ ، لم يزل الله يرينا البركة حتى بلغ محمد سنتين . فكان يشب شبابا لا تشبهه الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما يقوى على الأكل . فقدمنا به على أمه . ونحن فى أشد الحاجة إليه ، لما رأينا فيه من البركة .

ولما رآته أمه آمنة ، احتضنته مشتاقة ، وهو أيضا كاد أن يختفى فى حضنها .

ولكنى قلت لها : دعينا نرجع بإبننا هذه السنة الأخرى .. فإنا نخشى عليه وباء مكة .. فوالله ما زلنا نطلب منها ذلك حتى وافقت أخيرا ..

وعدت به مرة أخرى ، والفرحة تملأ قلبى ، والسعادة تغمرنى ، لأن محمدا أصبح قطعة منى ، وحبه ملأ كل جوانحى .

وفى سنة ٥٧٥ ميلادية

عادت حليلة بمحمد .. إلى مكة ، ليعيش فى حضن أمه آمنة بنت وهب وعمره اربع سنوات .

وكانت هذه هى عادة من عادات سادة قريش ، أن يتركوا أطفالهن فى الصحراء ، بعيدا عن مكة .. ليشبوا بين أحضان الطبيعة ، بعيدا عن الأمراض ، والأوبئة .

وعادت حليلة إلى قبيلتها ، وهى حزينة لفراق محمد ، وتتذكر يوم أن شق صدره ، وعادت به إلى آمنة ، وحكت لها ما حدث . ولكن آمنة بنت وهب .. أعادته معها ، غير خائفة مما حدث لمحمد ﷺ .

زيارة قبر عبد الله

عاش محمد ﷺ ، مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب ، يرتشف من حنان الأم ، بعد أن كان بعيدا أربع سنوات مع حليلة السعدية فى البادية .

وقالت " أم أيمن " مربيته ، عندما بلغ محمد السادسة من عمره ، اشتاقت أمه الى زيارة قبر عبد الله عند أخواله فى المدينة .

وأعددتنا العدة ، وسافرنا الى المدينة . وهناك تعرف محمد على أخواله من بنى النجار ، ولعب مع اولاد أخواله .

وقالت " أم أيمن " : جاعنى ذات يوم ونحن فى المدينة ، رجلا من يهود المدينة ، فقالا لى : أخرجى إلينا " أحمد " ننظر إليه . فنظرا إليه وقلبا . فقال أحدهما لصاحبه : هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، وسيكون بها فى القتل والسبى أمر عظيم .

فلما سمعت أمه آمنة بنت وهب ذلك ، وكانت مريضة ، فقالت : هيا يا أم أيمن .. أعدى حاجياتنا للسفر والعودة الى مكة .. إنى أخشى على محمد من هؤلاء اليهود .. هيا ..

وعبثا يحاول بنو النجار أن ترجع عن قرارها وهى مريضة . وأن تمكث قليلا حتى تخف . ثم تتابع رحلتها للعودة الى مكة .

ولكن آمنة .. أصرت على العودة ، وزارت قبر زوجها الحبيب عبد الله ، وبكت بكاء مرا . ووقف بجانبها محمد .. يبكى على مكانها .. وهو لا يدري ماذا سيحدث فى الغد .

وكان ذلك عام ٧٧٥ ميلادية .

طيف لا يغيب فى قلب الحبيب ❁

وتحركت آمنة بنت وهب .. ومعها محمد وعمره ست سنوات ، وحاضنته " أم أيمن " .. عاندين الى مكة فى قافلة صغيرة . وهى ما زالت مريضة ، ودموعها لم تجف من عينيها ، بعد زيارة قبر حبيبها وزوجها عبد الله .

وفى " الإيواء " .. مكان قريب من مكة ، ازدادت الحمى على " آمنة " .. وأحست أنها ستفارق الحياة . وطلبت من " أم أيمن " أن تهتم بابنها محمد .. وأن تجعله فى عينيها .

وبكت " أم أيمن " واحتضن محمد أمه آمنة ، وكأنه كان يحس . أنها ستفارقه . فالتصق بها باكيا ، يستجد بالله أن تبقى أمه .. ذات القلب الحنون ، معه .

وكانه يصرخ من قلبه باكيا ، لمن ستتركه بعد ذلك ، إنه لم ير والده الذى مات ، وهو فى بطن أمه . فكانت هى كل شئ فى حياته الصغيرة .

واستجدت " أم أيمن " بمن كان فى القافلة من نسوة ، وتم دفن آمنة " بالإيواء " .

ومحمد .. يرى كل شئ أمامه ، باكيا ، صامتا ، وهو لا يدرى بما كان يعده الله سبحانه وتعالى له من أعباء فيما بعد ، وبأنه سيكون نورا ليس لهذه الأمة ، ولكن للعالم أجمع .

وكانت رسالته فيما بعد للإنسانية جمعاء . زرع الحب فى قلوب الملايين من البشر ، وعبادة الله الواحد الأحد .

وكان طيف " أمة .. آمنة .. لا يغيب عنه طوال حياته أبدا ..

وأصبح يتيما إلا من رعاية الله

كان رسول الله ﷺ مع جده " عبد المطلب بن هاشم " يعيش في ظل ذلك الحب الكبير بعد موت أمه " أمنة بنت وهب "

فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، وكان ينوء يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه . لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له .

وكان رسول الله ﷺ ، يأتي وهو غلام ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه .
فيقول " عبد المطلب " إذا رأى ذلك منهم :
- دعوا ابني .. فوالله إن له لشأنا .

ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح على ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

وقال " عبد المطلب " .. " لأم أيمن " .. وكانت تحضنه :

- يا بركة لا تغفلي عن أبنئي .. فباني وجدته مع غلمان قريب من السدرة .
وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني .. نبي هذه الأمة ..

وكان " عبدالمطلب " لا يأكل طعاما الا ويقول :

- على بابني ..

فيؤتى به إليه .

فلما حضرت " عبد المطلب " الوفاة ، أوصى " أبا طالب " بحفظ رسول الله ﷺ ، .. ورعايته
- ثم مات " عبدالمطلب " وكان ذلك عام ٥٧٩ ميلادية ودفن بمنطقة " الحجون "

وكان محمد ﷺ ، وقتئذ ابن ثمان سنين . وأصبح يتيما .. من الأب .. والأم .. وأخيرا الجد . ولم يجد إلا الصبر يحتمى به ..

أدبه ربه .. فأحسن تأديبه

عندما توفى " عبد المطلب " جد محمد ﷺ ، تولى رعايته عمه " أبو طالب " .

وكان " أبو طالب " لأمال له ، وله كثير من العيال . ومع ذلك كان يحبه حبا شديدا .. حبا لا يحبه لأولاده !!

وقد زرع الله سبحانه وتعالى الحب .. فى كل القلوب التى أحاطت بمحمد ﷺ .

فكان " أبو طالب لاينام " إلا ومحمد بجانبه . ولا يخرج إلا ويخرج معه محمد .

فما رآه " عبد المطلب " إلا أحبه ، وما رآه " أبو طالب " من بعده إلا أحبه حبا شديدا .

وكان " أبو طالب " يخصصه بالطعام . وكان إذا أكل عيال أبى طاب جميعا أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم محمد ﷺ ، شبعوا . فكان إذا أراد أن يغذيهم . قال .. كما أنتم حتى يأتى ولدى .

فيأتى محمد ﷺ ، فيأكل معهم . فيقول " أبو طالب "

- إنك لمبارك !!

وكان " أبو طالب " عند الطعام ، يقرب الى الصبيان صفحتهم أول الأمر ، فيجلسون ويمدون أيديهم . ويكف محمد ﷺ ، يده ، فلا يسرع معهم . فلما رأى ذلك عمه " أبو طالب " .. عزل له طعامه على حده .

كان محمد ﷺ .. عفيف النفس ، لايتكالب على الطعام مثل الأولاد .. فقد أدبه الله ، فأحسن تأديبه ..

قصة " بحيرا "

- ذات يوم تهيأ " أبو طالب " ليخرج في قافلة للتجارة . إقترب محمد ﷺ من عمه قائلا:
- خذنى معك يا عماء .. لمن تتركنى ؟
- فرق له " أبو طالب " وقال :
- والله لأخرجن به معى ، ولا أفارقه ولا يفارقنى أبدا ..
- فخرج به ، ولما وصلت القافلة إلى مكان يسمى " بصر " من أرض الشام ، وبها راهب يقال له " بحيرا " فى صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية .
- فلما نزلوا ذلك العام " بحيرا " ، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك . فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام .
- فلما نزلوا به قريبا من صومعته ، صنع لهم طعاما كثيرا .
- قال له رجل منهم ، والله " بحيرا " .. إن لك لشأنا اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا .. فما شأنك اليوم ؟؟
- فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحداثة سنه . وكان عمره يومئذ من العمر اثنتا عشر سنة .
- فلما نظر " بحيرا " فى القوم ، قال :
- يامعشر قريش .. لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .
- قالوا له " "يابحيرا" .. ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتىك إلا غلاما .. وهو أحدث القوم سنا ..
- فقال : لا تفعلوا .. ادعوه .. فليحضر هذا الطعام معكم ..

خاتم النبوة

قال رجل من قريش مع القوم :

- واللات والعزى .. لا يمكن أن ننسى إبن عبد الله بن عبد المطلب .. ليتناول معنا الطعام ..

ثم قام .. وذهب الى محمد فاحتضنه .. وأجلسه مع القوم .

فلما رآه " تجيرا " .. ظل ينظر إليه كثيرا ..

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم ، وتفرقوا ، قام إليه "بحيرا" فقال له :

- يا غلام .. أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال محمد ﷺ :

- لا تسألنى باللات والعزى شيئا .. فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما .

فقال بحيرا : فبا الله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال له : سلنى عما بدا لك

فجعل يسأله عن أشياء من حاله .. من قومه .. وأموره . واخبره محمد ﷺ بكل شئ . فوافق ذلك ما عند " بحيرا " من صفته .

ثم نظر الى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده .

وطلب من القوم أن يأتوا بمن يهتم بأمر هذا الغلام ..

احذر عليه يهود

وبعد أن انتهى القوم من الطعام الذي قدمه لهم "بحيرا" وأحضروا له "أبو طالب" الذي يرعى محمد ﷺ . فقال "بحيرا" :

- ما هذا الغلام منك ؟

- إبنى

قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

قال : فإنه ابن أخى

قال : فما هو أبوه ؟

قال : مات وأمه حبلى به .

قال : صدقت .. فارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله إن رأوه وعرفوا منه ما عرفت .. فسوف يقتلونه .. فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .. فاسرع به الى بلاده .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، وحين فرغ من تجارته بالشام ، عاد به الى مكة سريعا .

وقد شبَّ محمد رسول الله ﷺ ، والله سبحانه وتعالى يرعاه ، ويحفظه من أقدار الجاهلية . ليصبح بعد ذلك ، أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، .. حتى أسماه قومه .. "بالأمين" ﷺ.

حرب " الفجار "

لما بلغ رسول الله ﷺ ، أربع عشرة سنة ، هاجت حرب " الفجار " بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان ذلك سنة ٥٩١ ميلادية .

وكان الذى هاجها أن " عروة الرحال " من " هوزان " أجاز تجارة " للنعمان بن المنذر " .

فقال البراض بن قيس : أتجيزها على كنانة ؟

قال : نعم وعلى الخلق .

فخرج فيها " عروة الرحال " وخرج " البراض " يطلب غفلته ، حتى إذا كان " بتيمن ذى طلال بالعالية " غفل " عروة " فوثب عليه " البراض " . فقتله فى الشهر الحرام . فلذلك سمي " الفجار " . لأنه قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا .

فاتى آت قريشا ، فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهم فى الشهر الحرام بعباظ .

فارتحلوا وهوازن لا تشعربهم ، ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم متساندون - أى ليس لهم أمير واحد يجمعهم .

وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم . أخرجه أعمامه معهم .. وقال رسول الله ﷺ : كنت أنبل على أعمامى . أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

قصة خديجة بنت خويلد

قال " ابن إسحق " . كانت " خديجة بنت خويلد " امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها . وكانت قريش قوما تجارا .

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ، ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما تعطيه كغيره من التجار . مع غلام لها يسمى " ميسرة " .

فقبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها " ميسرة " حتى قدما الشام . وكان ذلك سنة ٥٩٥ ميلادية . وفي الشام نزل ﷺ ، في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب الى " ميسرة " فقال :
- من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟
فقال ميسرة :
- هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي !!!
فلما قدم الرسوم الكريم ﷺ ، مكة . ذهب إلى خديجة . وأعطاه كل شئ من تجارتها ، وباعت .. وتضاعف مكسبها . وأعطت محمدا ﷺ حقه في التجارة .
وحدثها " ميسرة " عن شمائل محمد ﷺ ، ومكارمه . وعن قول الراهب . وعن أمانة محمد ﷺ في التجارة .
وكانت خديجة أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا . فلما أخبرها " ميسرة " ما أخبرها ، بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له فيما يزعمون .
- يا ابن إني قد رغبت فيك لقربائك ، ووسطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه .. !!

زواج خديجة

فلما سمع الرسول ﷺ من خديجة ، ما عرضته عليه من رغبتها فى الزواج منه شعر بالسعادة .

وقد تزوجت السيدة خديجة مرتين قبل زواجها بالرسول الكريم ﷺ ، تزوجت رجلين من سادات العرب وأشرفهم : " عتيق بن عاذ المخزومى " وأنجبت منه بنتا . وتزوجت من " أبى هالة بن زرة النميمى " وأنجبت منه ولدا إسمه " هند " .

وذهب محمد ﷺ إلى أعمامه ، وأخبرهم بماحدث . فخرج معه عمه " حمزة بن عبد المطلب " ، حتى دخل على " خويلد بن أسد " فخطبها إليه .. وتزوجها عليه الصلاة والسلام فى عام ٥٩٦ ميلادى .

وقال " ابن هشام " : فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

وعندما انتهى عقد زواج محمد ﷺ ، بخديجة انحرت الذبائح ودقت الدفوف ، وفتحت دار خديجة للأهل والأصدقاء ، فإذا بينهم " حليلة " قد جاءت من بادية بنى سعد ، لتشهد عرس ولدها الذى أرضعته . ثم لتعود فى الغداة ومعها أربعون رأسا من الغنم ، هبة من العروس الكريمة لتلك التى أرضعت " محمدا " زوجها الحبيب .

وتندت عينا " محمد " ﷺ ، وهو يفتقد أمه " آمنة " فإذا يد لطيفة رقيقة تأسو الجراح القديم فى حنان غامر ، وإذا به يجد فى " خديجة " رضى الله عنها ، عوضا جميلا ، عما قاساه من طويل حرمان .

صفات الرسول ﷺ

وتزوج رسول الله ﷺ من خديجة بنت خويلد . وأصدقها عشرين بكرة . وكان عمر رسول الله حين تزوج خديجة خمسة وعشرين سنة ، وكان عمرها خمسا وثلاثين ، وقيل خمسة وعشرين وروى عن ابن عباس أنها كانت فى الثامنة والعشرين ولم تتجاوزها ..

ومهما يكن من شئ ، فقد كان زواجا موفقا سعيدا ، كان فيه محمد ﷺ نعم الزوج ، وكانت خديجة نعمت الزوجة ، وعاشا معا زوجين هانئين

وكان محمد ﷺ وسيم الطلعة ، ربعة فى الرجال ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، ضخم الرأس ، ذا شعر رجل شديد سواده ، مبسوط الجبين ، فوق حاجبين سابغين منونين متصلين ، واسع العينين أدعجهما ، تشوب بياضهما فى الجوانب حمرة خفيفة ، وتزيد فى قوة جاذبيتها ، وذكاء نظرتهما أهداب طوال حوالك ، مستوى الأتف دقيقة ، مفلج الأسنان ، كث اللحية ، طويل العنق جميلة ، عريض الصدر رحب الساحتين ، أزهر اللون ، غليظ الكفين والقدمين ، يسير ملقيا جسمه الى الأمام مسرح الخطو ثابتة ، على ملامحه سيما التفكير والتأمل ، وفى نظرتيه سلطان الأمر الذى يخضع الناس لأمره .

فلا عجب وتلك صفته أن تجمع خديجة بين حبه والإذعان له ، ولا عجب أن تعفيه من تدبير مالها ، لتقوم هى على هذا التدبير ، كدأبها من قبل ، وأن تدع له ما شاء من فسحة الوقت ليفكر ويتأمل .

أوصاف الرسول ﷺ

عاش رسول الله ﷺ مع خديجة ، فى رعاية الله . وأسبغ الله عليه من فضله ، فشكر الله . وازداد تواضعا . وقد كان على عظيم ذكائه ، حسن الإصغاء الى محدثه ، بل يلتفت إليه بكل جسمه ، وكان قليل الكلام ، كثير الإنصات .

وكان يضحك أحيانا حتى تبدو نواجذه ، فإذا غضب لم يظهر عليه من أثر الغضب إلا نفرة عرق بين حاجبيه ، ذلك أنه كان يكظم غيظه ، ولا يريد أن يظهر غضبه ، لما جبل عليه من سعة الصدر ، وصدق الهمة ، والوفاء للناس .

وانجبت له خديجة ، البنين والبنات . سبعة ، ثلاثة ذكور ، وأربع إناث .

الذكور القاسم ٦١٠م وعبد الله ٦١٤م ويلقب بالطاهر وبالطيب .
وأما الإناث .. فكان المدرس يحكى لنا ونحن فى المرحلة الابتدائية ، حتى لا ننسى أسماء بنات الرسول الكريم . فكان يقول لنا تذكروا " الزرافة " .

الزغال : السيدة زينب ٥٩٧م . والراء السيدة رقية ٥٩٨م والالف السيدة أم كلثوم .. والفاء فاطمة ٦٠٦م أما " إبراهيم " فمن مارية القبطية .

وقد مات جميع أولاده بين يديه ، أما فاطمة فقد ماتت بعد وفاته بستة أشهر .

وكان الرسول الكريم ﷺ يتمتع بثبات العزيمة ، وقوة الإرادة ، وشدة البأس ، ولا يعرف التردد . وهذه الصفات كلها التى وهبها الله سبحانه وتعالى له كانت ذات اثر عميق فى كل من اتصل به . فمن رآه هابه ، ومن خالطه أحبه .

يانبع الحب فى هذا الوجود ، يا حبيب الرحمن ، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

إعادة بناء الكعبة

لم ينقطع محمد ﷺ عن مخالطة أهل مكة ، والأخذ معهم بنصيب في الحياة العامة ، بعد زواجه من خديجة رضي الله عنها . وكانوا يومئذ في شغل بما أصاب الكعبة ، فقد طغى عليها سيل كبير ، انحدر من الجبال ، فصدع جدرانها .

وكانت قريش من قبل ذلك تفكر في أمرها ، ولكنها كانت تخشى إن هي شيدت بنيانها ، ورفعت بابها ، وسقفتها حتى لا تكون عرضة للساقرين لما تحتويه من نفائس ، خشيت أن يصيبها من رب الكعبة المقدسة شر وأذى

وصادف أن رمى البحر في ذلك الوقت بسفينة قادمة من مصر مملوكة لتاجر رومي اسمه " باقوم " . وكان بناء على شئ من العلم بالتجارة . فلما سمعت قريش بأمره ، خرج " الوليد بن المغيرة " في نفر من قريش إلى " جده " . فابتاعوا السفينة المحطمة من " باقوم " ، وعرضوا عليه أن يحضر إلى مكة ، ليعاونهم في إعادة بناء الكعبة المشرفة .. وكان بمكة قبطن يعرف نجر الخشب وتسويته . فوافق على أن يعمل لهم ويعاونه " باقوم " .

ثم إن قريشا اقتسمت جوانب الكعبة الأربعة ، لكل قبيلة جانب تقوم بهدمه وبناؤه .. وعندما قام " الوليد بن المغيرة " وهدم بعضها من الجزء اليماني ولم يحدث له أي شئ من غضب رب الكعبة . وقاموا بهدم الكعبة ونقلت قريش أحجار الجرانيت الأزرق من الجبال المجاور ومعههم محمد ﷺ وبدأت في البناء . فلما ارتفع إلى قمة الرجل ، وأن أن يوضع الحجر الأسود المقدس في مكانه من الجانب الشرقي ، اختلفت قريش ..

أيهم يكون له فخر وضع الحجر الأسود في مكانه ؟ . واشتد الخلاف حتى كادت الحرب الأهلية تنشب بسببه . !!!

محمد ﷺ والحجر الأسود

لقد تحالف بنو عبد الدار ، وبنو عدى أن يحولوا بين أية قبيلة وشرف وضع الحجر الأسود في مكانه بالكعبة المشرفة . وأقسموا على ذلك . حتى قرب بنو عبد الدار إناء مملوء دما وأدخلوا أيديهم فيه توكيدا لإيمانهم . ولذلك سموا بـ " لعقة الدم "

فلما رأى ذلك " أبو أمية بن المغيرة المخزومي " ما صار إليه أمر القوم ، وكان أسنهم ، وكان فيهم شريفا مطاعا ، قال لهم :

- اجعلوا الحكم فيما بينكم ، أول من يدخل من باب الصفا ، فلما رأوا محمدا ﷺ ، أول من دخل ، قالوا :

- هذا الأمين رضينا بحكمه .

وقصوا عليه قصتهم . وعندما رأى العداوة تبدو في عيونهم ، فكر قليلا ، ثم قال :

- هلم إلى ثوبا .

فأتى به ، فنشره ، وأخذ الحجر الأسود ، فوضعه بيده فيه ، ثم قال :

- لياخذ كل كبير قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب .

فحملوه جميعا إلى ما يحاذي موضع الحجر في البناء . ثم تناوله محمد من الثوب ، ووضعه في موضعه . وبذلك انحسم الخلاف . وانفض الشر . وكان محمد ﷺ ، ابن خمس وثلاثين ، وكان ذلك عام ٦٠٦ م ، وفي تلك السنة ولدت ابنته فاطمة الزهراء .

أول بيت وضع للناس

قال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران (٩٦ - ٩٧)
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين " صدق الله العظيم

وثبت في الصحيحين .. " البخاري ومسلم " عن " أبي ذر الغفاري " قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟
قال صلى الله عليه وسلم : المسجد الحرام .
- قلت : ثم أى ؟
قال صلى الله عليه وسلم : المسجد الأقصى .
- قلت : كم بينهما ؟
قال صلى الله عليه وسلم : أربعون سنة

ثم روى " البيهقي " بسنده : قال : سأل رجل علياً عن قوله تعالى :
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين " أهو أول بيت بنى في الأرض ؟
قال : لا .. ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ، ومقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت نبأتك كيف بناؤه ؟

إن الله تعالى أوحى إلى " إبراهيم " أن أبني لى بيتاً فى الأرض . فبنى " إبراهيم " حتى بلغ مكان " الحجر " . قال لإبنة : ابغنى حجراً .. فالتمس حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب . فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به " جبريل " من السماء . فأتته .

قال : فمر عليه الدهر فأنهدم ، فبنته " العمالة " ثم أنهدم فبنته " جرهم " ثم أنهدم فبنته " قريش " ورسول الله ﷺ يومئذ شاب وهو من وضع الحجر الأسود مكانه بيديه ، ومنع الفتنة بين القبائل ، كما ذكرنا

أولاد الرسول ﷺ

تعاقبت السنون ومحمد ﷺ يشارك أهل مكة في حياتهم العامة ، ويجد في خديجة خير النساء حقا : الودود الولود التي وهبت نفسها له ، والتي أنجبت له من الأبناء القاسم وعبد الله الملقب بالطاهر وبالطيب . ومن البنات :

زينب سنة ٥٩٧ ميلادية

ورقية سنة ٥٩٨ ميلادية

وأم كلثوم سنة ٦٠٠ ميلادية

وفاطمة الزهراء سنة ٦٠٦ ميلادية

أما ابنه القاسم فقد ولد سنة ٦١٠ ميلادية

وعبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ولد سنة ٦١٢ ميلادية .

ولم يعرف عن القاسم ، وعبد الله ، إلا أنهما ماتا طفلين في الجاهلية ، لم يتركا على الحياة أثرا يبقى أو يذكر ، لكنهما من غير شك قد ترك موتهما في نفس ابويهما ما يتركه موت الإبن من أثر عميق ، وترك موتهما من غير شك في نفس خديجة ، ماجرح أمومتها جرحين داميين . وقد شعر معها محمد ﷺ بالآلم لوفاة بنيه .

كما حز في قلبه هذا الآلم الحى ممثلة صورته في زوجته خديجة يراه كلما عاد الى بيته وجلس إليها ، وليس يتعذر علينا أن نقدر عمق هذا الحزن العميق ، وخاصة في ذلك العصر الذى يتم فيه وأد البنات . وكان الحرص على إنجاب الذكور ، يوازى الحرص على الحياة بل يزيد عليه ، وإزداد الرسول ﷺ عندما مات ابنه ابراهيم من ماريه القبطية بعد ذلك ألما شديدا وأليما .

بنات الرسول ﷺ

أما بنات الرسول ﷺ ، فقد عني بتزويجهن من أكفاء لهن :

زوج زينب كبراهن من أبى العاصى بن الربيع بن عبد شمس . وكانت أمه أختا لخديجة ، وكان فتى له قدر كبير بين قومه ، لإستقامته ونجاح تجارته .

وزوج رقية وأم كلثوم من عتبة وعتبة ابني عمه أبى لهب . ولم تبق هاتان الزوجتان مع زوجيهما بعد الإسلام ، إذ أمر أبى لهب إبنيه بتسريحهما . فتزوجهما عثمان واحدة بعد الأخرى ، بعد أن ماتت رقية أولا ، ثم تزوج أم كلثوم ، ولقب ب " ذو النورين " لأنهما قطعة من النور المحدثى ، نور محمد ﷺ .

أما فاطمة فكانت ما تزال طفلة ، وتزوجت بعد الإسلام من على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه .

كانت حياة محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك السنوات .. حياة طمأنينة ، ولولا وفاة أولاده ، لكانت حياة نعمة وسعادة بمودة خديجة ووفاتها . ومن الطبيعى أن يترك نفسه لسجيته ، سجية التفكير والتأمل ، وأن يستمع الى قومه فيما كان حوارهم يقع عليه من أمور أصنامهم . وما كان النصرانى واليهود يقولونه لهم .

وأن يفكر ويتدبر ، وأن يكون أشد من كل قومه تدبرا وتفكيراً . فهذا الروح القوى الملهم ، هذا الروح الذى أعدته الأقدار ليبلغ الناس من بعد رسالات ربه ، ويوجه حياة العالم الروحية الإتجاه الحق . لا يمكن أن يظل مطمئنا إلى ما غرق الناس فيه إلى الأذقان من ضلال . ولا بد أن يلتمس فى الكون أسباب الهدى ، حتى يعده الله ليلقى عليه ما قدر فى الغيب من رسالته . لم يكن يريد لنفسه أن يكون من طراز الكهان . ولا أراد أن ينصب نفسه حكيما على نحو ما كان ورقة بن نوفل وأمثاله ، إنما كان يريد الحق لنفسه . فكان محمد ﷺ كثير التفكير ، طويل التأمل .. فى ملكوت الله سبحانه وتعالى .

فى غار حراء ..

كان من عادة العرب أيام الجاهلية ، أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمنا فى كل عام يقضونه بعيدا عن الناس فى خلوة يتقربون الى آلهتهم بالزهد والدعاء .. وكانوا يسمون هذا الإنقطاع للعبادة التحنط والتحنث .

وقد وجد محمد ﷺ فى هذا التحنث ، خير مايمكنه من الإمعان والتفكير . كما وجد فيه طمأنينة نفسه وشفاء شغفه بالوحدة يتلمس أثناءها الوسيلة الى مالم يبرح شوقه يشتد إليه من نشدان المعرفة واستلهاهم ما فى الكون من أسبابها .

وكان بأعلى جبل حراء - على بعد فرسخين من شمال مكة - غار هو خير ما يصلح للإعطاء والتحنث ..

فكان يذهب إليه طول شهر رمضان من كل سنة يقيم به مكتفيا بالقليل من الزاد . بعيدا عن ضجة الناس ، وضوضاء الحياة ، ملتصقا الحق والحق وحده .

ولقد كان يشتد به التأمل إبتغاء الحقيقة ، حتى لقد كان ينسى نفسه ، وينسى طعامه ، وينسى كل ما فى الحياة ، لأن هذا الذى يرى فى حياة الناس مما حوله ليس حقا . وهناك كان يقلب فى صحف ذهنه كل ماوعى ، فيزداد عما يزاوّل الناس من ألوان الظن ، رغبة فى الإبتعاد .

إن هذه الأصنام التى يعيدها قومه ، لا تغنى ولا تسمن من جوع ، لم تخلق يوما ذبابة ، ولا جادت مكة بخير .. ولكن أين الحق إذن .. أين الحق فى هذا الكون الفسيح بأرضه وسماواته ونجومه ؟ كان محمد ﷺ يفكر أثناء انقطاعه وتعبده بغار حراء.. فى هذه الأمور النفسية والروحية .. يريد أن يرى الحق .. صلى الله عليه وسلم ..

الرياضة الروحية لليوم العظيم

كان محمد ﷺ ، يتحنث في غار حراء . فإذا انقضى شهر رمضان عاد الى خديجة وبه أثر التفكير ما يجعلها تسائله .. تريد أن تطمنن الى أنه بخير وعافية ..

وبعد سنوات شغلت أثناءها هذه الحقائق العليا نفسه ، صار يرى في قومه الرؤيا الصادقة تتبلج أثناءها أمام باصرته أنوار الحقيقة التي ينشدها .

ويرى معها باطل الحياة وغرور زخرفها . إذ ذاك آمن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى ، وأن حياتهم الروحية قد أفسدها الخضوع لأوهام الأصنام وما اليها من عقائد متصلة بها ليست دونها ضلالا ..

وفي سنة ٦١١ ميلادية ، بلغ محمد ﷺ سن الأربعين . وذهب الى " غار حراء " يتحنث ، وقد امتلأت نفسه إيمانا بما رأى في رؤاه الصادقة ، وقد خلصت نفسه من الباطل كله ، وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه .

وقد اتجه بقلبه الى الصراط المستقيم ، وإلى الحقيقة الخالدة ، وقد اتجه الى الله بكل روحه أن يهدي قومه ، بعد أن غرقوا في رمال الضلال .

فكان محمد ﷺ يطيل الصوم ، وتثور به تأملاته ، فينحث في الغار الى طرق الصحراء ، ثم يعود الى خلوته ليعود فيمتحن ما يدور في ذهنه ، وما يتبين له في رؤاه .

لقد طالت به الحال ستة أشهر ، حتى خشي على نفسه عاقبة أمره ، فأسر بمخاوفه الى خديجة زوجته الحنون ، وأنه يخاف عبث الجن ، فطمأنته الزوجة المخلصة الوفية ، وجعلت تحدثه بأنه الأمين . وإن لم يدر بخاطرهما ، ولا بخاطره أن الله سبحانه وتعالى يهيئ مصطفىا بهذه الرياضة الروحية الى اليوم العظيم ، والى النبا العظيم يوم الوحي الأول ، ويهيئنه الى البعث والرسالة ..

إقرأ...!!

وفيما كان محمد ﷺ نائم بغار حراء ، جاء ملك وفى يده صحيفة . فقال له : إقرأ ..

فقال مأخوذاً : ما أقرأ .. !!

فأحس كان الملك يختقه ، ثم يرسله ويقول له : إقرأ...!!

فأحس كان الملك يختقه مرة أخرى .. ثم يرسل ويقول : إقرأ .. !!

قال محمد ﷺ ، وقد خاف أن يختق مرة أخرى - ماذا أقرأ ؟

قال الملك : " إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " [سورة العلق : ١-٥]

فقرأها ، وانصرف الملك عنه وقد نقشت فى قلبه كذلك روت كتب السيرة الأولى ، وعليه ابن إسحق ، وكذلك روى كثير من المحدثين على أن بعضهم يرى أن بدء الوحي كان فى اليقظة وكان نهارا . وذكر " ابن كثير " فى تاريخه ما أورده الحافظ ابو نعيم الإصبهاني فى كتابه " دلائل النبوة " عن علقمه بن قيس أنه قال : " إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد :

ولكن محمد ﷺ ، مالبث أن إستيقظ فزعا يسأل نفسه

" أى شئ رأى ؟ .. أترأه قد أصابه ما كان يخشى من جنة ؟ وتلفت يمنة ويسرة فلم ير شيئا . ومكث برهة أصابته فيها رعدة الخوف . وخاف ما قد يكون بالغار . ففر منه وكله حيرة . صلى الله عليه وسلم .

زملونى .. زملونى

لقد فر محمد ﷺ من الغار ، وكله حيرة لا يستطيع تفسير ما رأى . وانطلق هائما فى شعاب الجبل يسائل نفسه عمن دفعه ليقرا . لقد كان يرى وهو فى تحنثه الرؤيا الصادقة تنبلج من خلال تأمله ، فتملا صدره ، فتضى أمامه ، وتدله على الحق .. أين هو ؟ ..

وتنير له حجب الظلمات التى زجت قريشا فى وثنيتهن إلى عبادة أصنامهم .. وهذا النور الذى أضاء أمامه وهذا الحق الذى هداه سبيله هو الواحد الأحد .

فمن هذا المذكر به ، وبأنه الذى خلق الإنسان ، وبأنه الأكرم الذى علم الإنسان بالقلم مالم يعلم ؟

وتوسط الجبل وهو فى هذه الحال من فزع وخشية ومساءلة ، فسمع صوتا يناديه ، فأخذه الروح ورفع رأسه إلى السماء ، فإذا الملك فى صورة رجل هو المنادى . وزاد به الفزع ، ووقفه الرعب مكانه ، وجعل يصرف وجهه عما يرى ، فإذا هو يراه فى آفاق السماء جميعا ، ويتقدم ويتأخر فلا تتصرف صورة الملك الجميل من أمامه .

وكانت خديجة قد بعثت من يلتمسه فى الغار فلا يجده . فلما انصرفت صورة الملك رجع محمد ﷺ ممثلا بما أوحى إليه وفؤاده يجف ، وقلبه يضطرب خوفا وهلعا .

ودخل على خديجة .. وهو يقول .. زملونى .. زملونى ..

تلك رسالة ربه !!

وعندما دخل محمد ﷺ وهو يقول زملونى . زملمته وهو يرتعد كأن به الحمى . فلما ذهب عنه الروح نظر الى زوجه نظرة المستنجد ، وقال ﷺ :

- ياخديجة !! مالى ؟ !

وحدثها بالذى رآه فى غار حراء . وأفضى إليها بمخاوفه أن تخذعه بصيرته أو أن يكون كاهنا .

وكانت خديجة ، كما كانت أيام تحنثه وتعبه فى الغار ومخاوفه أن تكون به جنة ، ملك الرحمة وملأه السلام لهذا القلب الكبير الخائف الوجل . لم تبد له أى خوف أو ريبة . بل رنت إليه بنظرة الإكبار وقالت :

- أبشر يا بن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على ثواب الحق .

واطمأن روح محمد ﷺ ، وألقى على خديجة نظرة شكر ومودة ، ثم أحس جسمه متعبا فى حاجة الى النوم .. فنام .

نام ليستيقظ من بعد لحياة روحية قوية غاية القوة ، حياة تأخذ بالأبصار والألباب . ولكنها حياة تضحية خالصة لوجه الله والحق والإنسانية . تلك رسالة ربه يبلغها ويدعو الناس إليها بالتى هى أحسن ، حتى يتم الله نوره ولو كره الكافرون .

لقد جاءه الناموس الأكبر

نام محمد ﷺ ، وحدثت فيه خديجة ، وقد امتلأ قلبها إشفاقا وأملا لهذا الذى سمعته منه وهو فى الغار . فلما رآته استغرق فو نوم مطمئن هادئ ، تركته وخرجت تقلب فى نفسها هذا الذى هز قلبها ، وأشار هواجسها . وتفكر فى الغد ترجوه خيرا . وترجو أن يكون زوجها نبي هذه الأمة العربية التى غرقت فى الضلال ، يهديها دين الحق ، ويدلها على الصراط المستقيم .

ولكنها مع ذلك ، كانت تخشى هذا الغد أشد الخشية على هذا الزوج البار الوفى الحميم . وطفقت تعرض أمام بصيرتها ما قص عليها ، وتخيل الملك الجميل الذى تعرض فى السماء بعد أن أوحى إليه كلمات ربه ، والذى ملأ عليه الوجود كله حينما كان يراه أينما صرف وجهه .

وتستعيد الكلمات التى تلا محمد ﷺ بعد أن نقشت فى صدره ، جعلت تعرض هذا كله أمام بصيرتها ، فتفتتر شفتاها عن إبتسامة أمل ، وتنكمش أساريرها مرة أخرى خيفة ما قد يكون أصاب الأمين ولم تطق البقاء فى وحدتها طويلا ، تنتقل من الأمل الحلو الباسم إلى الريبة والإشفاق والخوف ، ففكرت بأن تقضى بما فى نفسها إلى من تعرف فيه الحكمة والنصيحة .

لذلك انطلقت إلى ابن عمها " ورقة بن نوفل " ، وكان مترهبا . فلما أخبرته بما رأى محمد ﷺ وسمع ، أطرق مليا ثم قال :

- قدوس .. قدس .. والذى نفس ورقة بيده لنن كنت صدقتينى ياخديجة ..
لقد جاءه الناموس الأكبر الذى يأتى موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ..
فقلولى له .. فليثبت .. !!!

انقضى عهد النوم والراحة

عادت خديجة رضى الله عنها ، بعد أن سمعت نصيحة ابن عمها ورقة بن نوفل ، وأن محمدا ﷺ ، هو نبي هذه الأمة . وعادت خديجة إلى البيت فوجدت محمدا ﷺ مازال نائما ، فحدقت فيه وكلها الحب والإخلاص ، وكلها الإشفاق والأمل .

وفيما هو فى هدأة نومة إذا به قد إهتز ، وثقل بتنفسه ، وبلل العرق جبينه يقوم ليستمع الى الملك يوحى اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

" ياأيها المدثر ، قم فأنذر . وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر " . سورة المدثر من ١-٧ .

ورأتها خديجة كذلك فازدادت إشفاقا ، وتقدمت إليه فى رقة وضراعتة أن يعود إلى فراشة ، وأن ينام ليسترىح . فكان جوابه ﷺ .

- ياخديجة .. انقضى عهد النوم والراحة ، فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس ، وأن أدعوهم الى الله وإلى عبادته . فمن ذا أدعو ؟ .. ومن ذا يستجيب لى ؟ ..

فجهدت خديجة تهون عليه الأمر وتثبته . وسارعت فقصت عليه نبأ " ورقة بن نوفل" وما حدثها به . !!!

أول إنسان آمن برسالة محمد

وعندما أخبرت خديجة محمد ﷺ ، بما قاله ابن عمها " ورقة بن نوفل " بعد أن روت له ما حدث لمحمد في الغار ، وقال إنه نبي هذه الأمة العربية .

وأعلنت خديجة لمحمد ﷺ في شوق ولهف .. إسلامها له ، وإيمانها بنبوته . فكانت أول إنسان آمن برسالة الرسول ﷺ ، وأنه نبي هذه الأمة ..

وكان طبيعيا أن تسارع الى الإيمان به ، وقد جربت عليه طول حياته .. الأمانة ، والصدق ، وعلو النفس ، وحب البر والرحمة .

رأته في سنوات تحنثه وتعبدته في غار حراء ، كيف شغلت نفسه بالحق وحده ، يطلبه مرتفعا بقلبه وبروحه ، وب عقله فوق أو هام الناس ممن يعبدون الأصنام ، ويقربون لها القرابين .

وأنه في سنوات تعبدته كما رأت .. كيف كان حاله أول عودة من جراء بعد البعث وهو في أشد الحيرة من أمره .

وخرج محمد ﷺ من بعد ذلك يوما للطواف بالكعبة ، فلقيه " ورقة بن نوفل " فلما قص عليه محمد أمره ، قال ورقة :

- والذي نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة . ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى . ولتكذبن ، ولتؤذين ، ولتخرجن ، ولتقاتلن . ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأتصرن الله نصرا يعلمه .

ثم أدنى منه رأسه فقبلها ..

وظفق محمد ﷺ يفكر كيف يدعو قريشا إلى ما آمن به وهو يعلم أنهم احرص ما يكونون على باطلهم ، حتى ليقاتلون في سبيله ويقتلون . وهم من بعد أهله وعشيرته الأقربون. !!!

المسألة الكبرى !

كان العرب فى ضلال ، وأن ما يدعوهم إليه محمد ﷺ ، فهو يدعوهم الى الإرتفاع بقلوبهم ، وبارواحهم ، لتتصل بالله الذى خلقهم وخلق من قبل آبائهم ، ليعبدوه مخلصين له الدين طاهرة نفوسهم .

وهو يدعوهم ليتقربوا الى الله بالعمل الصالح ، وإيتاء ذى القربى حقه وابن السبيل ، ولينفذوا عبادة هذه الأحجار التى اتخذوها أصناما يزعمون أنها تغفر لهم ما يمضون فيه من لهو وفسوق . ومن أكل الربا ومال اليتيم ، فإذا عبادتها تحيل نفوسهم وقلوبهم أشد من الأصنام تحجرا وقسوة ..

وهو يهيب بهم أن ينظروا الى ما فى السموات والأرض من خلق الله لتمتثل نفوسهم ذلك كله ، وتدرك ماله من خطر وجلال . فتعظم بإدراكها سنة ما فى السموات وما فى الأرض ، ثم تعظم بعبادتها خالق الوجود كلمة وحده لا شريك له .

وتأخذها الرحمة بكل من لم يهده الله وتعمل لهدايته ، وتكون البر لكل يتيم ، ولكل بانس ، أو ضعيف ، نعم .. إلى هذا امره الله أن يدعوهم

لكن هذه القلوب القاسية ، وهذه الأرواح الغلاظ قد يبست على عبادة ما كان يعبد آبائهم . ووجدت فيه تجارة تجعل مكة مركز حجيج عبدة الأصنام ..

أفيتركون دين آبائهم ويعرضون مكانة مدينتهم لما يتعرض له إذا لم يبق على عبادة الأصنام أحد .. ؟ !!

فى حين أن محمدا ﷺ ينذر الناس أن يرتفعوا فوق شهواتهم وفوق أصنامهم .. وإذا هم لم يؤمنوا .. فما ذا عسى أن يفعل ؟ .. هذه هى المسألة الكبرى ؟؟

ما ودّعك ربك وما قلى

لقد انتظر محمد ﷺ ، هداية الوحي إياه ، وإنارة سبيله ، فإذا الوحي يفتر .. وإذا جبريل لا ينزل عليه . وإذا ما حوله سكينه صامته جعلته فى وحدة من الناس ومن نفسه ، وردته الى مثل مخاوفه قبل نزول الوحي .

وقد روى أن خديجة قالت له :

- ما أرى ربك إلا قلاك .

وتولاه الخوف والوجل .. فهما يبتعثانه من جديد يطوى الجبال ، وينقطع فى حراء ، يرتفع بكل نفسه ابتغاء وجه ربه يسأله : لم قلاه بعد أن اصطفاه ؟

ولم تكن خديجة أقل منه إشفاقاً ووجلاً .

ويتمنى الموت صادقاً لولا أنه كان يشعر ما أمر به ، فيرجع الى نفسه ثم إلى ربه .

وإنه لكذلك تساوره هذه المخاوف ، إذ جاءه الوحي بعد طول فتوره . ونزل عليه بقوله سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

"والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيماً فاؤى . ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث" . صدق الله العظيم

ياسبحان الله ، يا جلال الله .. آية سكينه للنفس وغبطة للقلب ، وبهجة للفؤاد ، انجابت مخاوف محمد ﷺ ، .. وزال كل روعه ..

الدعوة الى ربه

نزل الوحي على الرسول الكريم ﷺ بعد فتور . وارتسمت على ثغر الحبيب المصطفى ﷺ ابتسامة الرضا . وافترت شفتاه عن معان الحمد ، وأى التقديس والعبادة .

لم يبق لما كانت تخشى خديجة من أن الله قلاه ، ولم يبق لفزع وهلعه موضع ، بل تولاه الله وتولاها برحمته . وأزال كل خشية أو ريبة فى نفسه .

أصبحت الحياة بعد الآن دعوة إلى الله ، وإلى الله وحده . الى الله العلى القدير .. الكبير .. تعنو له الجباه ، ويسجد له من فى السموات والأرض جميعا . هو وحده الحق وكل ما يدعون من دونه الباطل .

إليه وحده يتوجه القلب ، وبه وحده يجب أن تتعلق النفس ، وفيه وحده يجب أن تغنى الروح . وللآخرة خير لك من الأولى . الآخرة التى تحيط فيها النفس بكل الوجود فى كمال وحدته ، والتى يتناهى اليها المكان والزمان وتنسى فيها اعتبارات هذه الحياة الوضيعة الأولى .

الآخرة التى يصير فيها الضحى ولألاء نسمة الباهره . والليل ودجاء الساجى . والسموات والكواكب والأرض والجبال كلها واحدا تتصل به الروح الراضية المرضية .

هذه هو الحق وكل ما دونه صور منه لا تغنى عنه . هذا هو الحق الذى أضاء بنوره روح محمد والذى ابتعثه من جديد ليفكر فى الدعوة الى ربه . وأن ينير للناس سبيل العلم بما لم يكونوا يعلمون ، وألا ينهر من أجل ذلك سائلا ، ولا يقهر يتيما . وحسبه أن الله وحده يتيما فأواه فى كفالة جده عبد المطلب وعمه أبى طالب . وأنه وجده فقيرا فأغناه بأمانته ، ويسر له خديجة شريكة صباه ، شريكة تعبده ، ويَعُثه . شريكة المحبة . وأنه وجده ضالا فهداه برسالته .. حسبته هذا . يا حبيب الرحمن . وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

وأسلم على

وعلم الله نبيه الصلاة فصلى وصلت خديجة معه . وكان يقيم معهم غير بناتهما علي بن أبي طالب الذي كان صبيا لما يبلغ الحلم . ذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب كثير العيال . فقال محمد ﷺ لعمه العباس وكان من أكثر بنى هاشم يسارا :

- إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة .. فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله ، آخذ من بني رجلا ، وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه ..

وكفل العباس جعفرا ، وكفل محمد عليا . فلم يزل معه حتى بعثه الله . وفيما محمد وخديجة يصليان يوما دخل عليهما علي مفاجأة . فراهما يركعان ويسجدان ، ويتلوان ماتيسر مما أوحاه الله يومئذ من القرآن .

فوقف الشاب دهشا حتى اتما صلاتهما ، ثم سأل : لمن تسجدان ؟

فأجابه ﷺ : إنما نسجد لله الذي بعثنى نبيا وأمرنى أن أدعو الناس إليه .

ودعا محمد ابن عمه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى دينه الذي بعث نبيه به ، وإلى إنكار الأصنام من أمثال اللات والعزى .

على .. أول صبي أسلم

وتلا محمد ﷺ ما تيسر من القرآن الكريم على ابن عمه "على" رضى الله عنه ، فانبهر على لما سمع ، وسحره جمال الآيات وأعجازها واستمهل ابن عمه حتى يشاور أياه.

ثم قضى ليلة مضطربا ، حتى إذا أصبح أعلن أمام محمد ﷺ وخديجة أنه اتبعهما من غير حاجة لرأى أبى طالب وقال :

لقد خلقنى الله من غير أن يشاور أيا طالب ، فما حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبد الله.

وكذلك كان "على بن أبى طالب" رضى الله عنه ، أول صبي أسلم ، ومن بعده أسلم "زيد بن حارثة" مولى النبى ﷺ وبذلك بقى الإسلام محصورا فى بيت محمد : فيه ، وفى زوجته ، وابن عمه ، ومولاه . وظل محمد ﷺ يفكر كيف يدعو قريشا إليه ، وهو ما يعلم ماهى عليه من شدة البأس ، وشديدة التعلق بعبادات آبائهن وأصنامهم .

وكان أبو بكر بن أبى قحافة التيمى ، صديقا حميما لمحمد ، يستريح إليه ، ويعرف فيه النزاهة ، والأمانة ، والصدق ، لذلك كان هو أول من دعاه إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأوثان وأول من أفضى إليه بما رأى وبما أوحى إليه .

ولم يتردد أبو بكر فى إجابة محمد الى دعوته ، وفى الإيمان بها ، وأى نفس تنشرح للحق تتردد فى ترك عبادة الأوثان لعبادة الله وحده ؟ وأى نفس فيها شئ من السمو ترضى عن عبادة الله عبادة حجر أيا كانت صورته ؟؟

أبو بكر .. أول من أسلم من الرجال

وكان " على بن أبي طالب " أول من أسلم من الصبية .. وكان عمره عشر سنوات . وكذلك كان أبو بكر .. أول من أسلم من الرجال ... وبعد أن تصارعت في ذهنه عشرات الأسئلة .. فأى نفس تقية تتردد في طهر الثياب .. وطهر النفس .. وإعطاء السائل ، والبر باليتيم ؟ !

وإذاع أبو بكر بين أصحابه إيمانه بالله ورسوله . وكان أبو بكر رجلا وسيما ، وكان انسب قریش لقریش وأعلم قریش بها ، وبما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يالقومه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

وجعل أبو بكر يدعو إلى الإسلام من وثق من قومه ، فتابعه على الإسلام .. عثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، ثم أسلم من بعد ذلك من إبن الجراح وكثيرون غيره من أهل مكة ..

وكان أحدهم إذا أسلم ذهب إلى النبي فأعلن اليه إسلامه ، وتلقى عنه تعاليمه .

وكان المسلمون الأولون يستخفون لعلمهم بما تضمنه قریش من عداوة لكل خارج على أوثانها ، فكانوا إذا أرادوا الصلاة انطلقوا إلى شعاب مكة وصلوا فيها . وظلوا على ذلك ثلاث سنوات ازداد الإسلام فيها إنتشارا بين أهل مكة ، ونزل على محمد ﷺ من الوحي ما زاد المسلمين إيمانا وتثبيتا وكان الجهر بالدعوة الإسلامية سنة ٦١٤ ميلادية [أى السنة التالية للنبوّة] .

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

آمن برسالة محمد ﷺ من تجار مكة وأشرفها من عرفت نفوسهم الطهر ، والنزاهة ، والمغفرة ، والرحمة ، وآمن به كل ضعيف ، وكل بئس ، وكل محروم ، وانتشر أمر محمد ﷺ بمكة ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا من رجال ونساء .

وبعد ثلاث سنوات من حين البعث ، أمر الله رسوله أن يظهر ما خفى من أمره ، ونزل الوحي . بسم الله الرحمن الرحيم : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ " [سورة الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦] .

وقال تعالى : " فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين " [سورة الحجر آية ٩٤]

ودعا محمد ﷺ عشيرته إلى طعام في بيته . وحاول أن يحدثهم داعيا إياهم إلى الله ، فقطع عن " أبو لهب " حديثه واستنفر القوم ليقوموا ، ودعاهم محمد في الغداة مرة أخرى فلما طعموا قال لهم :

- ما أعلم إنسانا في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتم به ، قد جئتم بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه . فأياكم يوازنني على هذا الأمر ؟

فأعرضوا عنه وهموا بتركه . لكن عليا نهض ، وهو ما يزال صبيا دون الحلم . وقال :

- أنا يارسول الله عونك ، أنا حرب على من حاربت .

فأبتسم بنو هاشم ، وقهقه بعضهم ، وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ، ثم انصرفوا مستهزئين .

أول ظهور للمسلمين

قال " عبد الله بن محمد " فحدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح " أبو بكر " على رسول الله ﷺ في الظهور فقال : " يا أبا بكر إنا قليل " .

فلم يزل " أبو بكر " يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ . وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته . وقام " أبو بكر " في الناس خطيبا ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا الى الله وإلى رسوله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواصي المسجد ضربا شديدا ، ووطئ " أبو بكر " وضرب ضربا شديدا . ودنا منه الفاسق " عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين . على وجهه وجاء " بنو تيم " وأجلت المشركين عن أبي بكر . وحملت " بنو تيم " أبا بكر في ثوب ، حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته ، ثم رجعت " بنو تيم " فدخلوا المسجد وقال :

- والله لنن مات "أبو بكر " لنقتلن " عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل " أبو قحافة وبنو تيم يكلمون " أبابكر " حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار ..

فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟.

أبو بكر .. فى غيبوبة

كاد أبو بكر رضى الله عنه ، يلفظ أنفاسه من شدة الضرب الذى لا قاه من المشركين ، عندما وقف خطيبا يدعوهم الى رسالة محمد .. وإلى عبادة الله . وبعد أن أفاق من الغيبوبة تساءل : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

ثم قام " بنو تيم " وقالوا " لآمة أم الخير " :

- أنظري أن تطعميه شيئا ، أو تسقيه إياه .

فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول :

- ما فعل رسول الله ﷺ ؟

فقالت : والله مالى علم بصاحبك .

فقال : إذهبي الى " أم جميل بنت الخطاب " فاسألها عنه .

فخرجت حتى جاءت " أم جميل " فقالت :

- وإن كنت تحبينى أن أذهب معك إلى إبتك .

- فقالت : نعم

فمضت معها ، حتى وجدت أبا بكر فى غيبوبة . فدنت منه " أم جميل " وصاحت " والله إن قوما نالوا منك لأهل فسق وكفر . وإنى لأرجو الله أن ينتقم لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ . فقالت : هذه امك تسمع .

قال : فلا شئ عليك منها .

قالت : سالم .. صالح ..

قال : أين هو ؟

قالت : فى دار " ابن الأرقم "

قال أبو بكر : فإن لله على أن لا أذوق طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى آتى رسول الله ﷺ .

آلام أبى بكر

لقد أصر أبو بكر رضى الله عنه أن يرى الرسول الكريم ﷺ وعندما هدا به الرجل ، وسكن الناس .. خرجت " أم جميل " وأم أبو بكر يتكى عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ .

وعندما رآه رسول الله بهذه الحالة الأليمة ، أكب عليه رسول الله ﷺ ، فقبّله ، وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة . فقال أبو بكر :

- بأبى وأمى يارسول الله .. ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، وانت مبارك ، فادعها الى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستقذها بك من النار .

ودعا لها رسول الله ﷺ .. ودعاها الى الله .. فأسلمت !! وأقاموا مع رسول الله ﷺ فى الدار شهرا ، وهم تسعة وثلاثون رجلا . وقد كان " حمزة ابن عبد المطلب " قد أسلم يوم ضرب " أبو بكر " .

لم يحل غضب أبى بكر ولا خصومه غيره من قريش . دون إنتشار الدعوة الى الإسلام بين اهل مكة . فلم يكن يوم الا أسلم فيه بعضهم لله وجهه . وكان الزاهدون فى الدنيا أشد على الإسلام إقبالا . أولئك لا تلههم التجارة ، ولا البيع عن التأمل فيما يدعوههم الداعى إليه . وهم قد رأوا محمدا فى غنى من مال خديجة وماله ، وهاهو ذا مع ذلك لا يعبا بهذا المال ، ولا بالمزيد عليه والإكثار منه ، ويدعو الى الحب ، واللفظ والمودة والتسامح..

هو فى الجسم بشر ، وهو نور فى البصيرة والبصر . .

الحرية التى يدعو إليها محمد ﷺ

أى شئ خير مما يدعو إليه محمد ﷺ !!

أليس هو يدعو إلى الحرية العزيزة على نفس العربى عزة حياته عليه .. نعم .. !!

أليس يطلق الناس من التقيد بأية عبادة غير عبادة الله وحده .. !!
أليس هو يحطم كل ما بينهم وبينه من أغلال .. لاهيل ولا اللات والعزى ، ولا نارالمجوس ، ولا شمس المصريين ، ولا نجوم عباد النجوم ، ولا الحواريون ، ولا أحد من الإنس أو من الملائكة أو من الجان يحجب بين الله والإنسان .

وأمام الله ، أمامه وحده لا شريك له ، يسأل الإنسان عما قدم من خير وشر . وأعمال الإنسان هى وحدها شفيعة . وضميره هو الذى يرى أعماله ، وهو وحده صاحب السلطان عليه ، وبه يحاسب يوم تجزى كل نفس بما كسبت ..

أية حرية أوسع مدى من هذه الحرية التى يدعو إليها محمد ﷺ ؟ !
.. وهو يدعو " أبو لهب " وأصحابه إلى شئ من مثلها ؟ أم هم يدعون الناس لتظل نفوسهم فى رق وعبودية بما تكسب عليها من خرافات حجبت عنها نور الحق أو ضياء الهدى ؟

وقال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم

" تَبَّتْ يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد " صدق الله العظيم .

المجتمع المكي

كان المجتمع المكي ثلاث طبقات متميزة ، يختلف بعضها عن بعض في المكانة والمنزلة ، ويختلف تبعاً لذلك ما تتركه كل طبقة منها من أثر في ذلك المجتمع ، طبقة السادة من الأغنياء والزعماء ، وطبقة الرقيق من العبيد والإماء ومن في حكمهم من الدهماء والعامّة ، وطبقة الأحلاف من العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون في مكة وليسوا من أهلها ، ولكن تربطهم بالسادة من أغنيائها وزعمائها روابط الحلف والجوار .
وذلك أن العرب كانوا في طبيعتهم نزعة التعصب للجار والحليف وحمايته من كل ما يسوء ، كما يتعصبون في ذلك لأهلهم وعشيرتهم .

وكانت قريش على اختلاف بطونها وعشائرها ، هم - في اعتقاد العرب - أهل الحرم ، وكان للحرم مكانته في نفوس العرب جميعاً ، ومن أجل ذلك كان العرب يعظمون قريشاً ، ويدينون لهم بالسيادة عليهم ، ويعتقدون أنهم أولو الأمر وأصحاب الحل والعقد في كل ما يتصل بشئون الدين .

وكانت قريش تستفيد من ذلك أيما فائدة . فمكانتهم مرموقة ، وسيادتهم سيادة مطلقة ، وحياتهم في ظل هذه العقيدة حياة فيها تجربة واسعة وجاه عريض ، والعرب مع ذلك يسعون إليهم في كل موسم من مواسم الحج ، بما يحملون من الأموال والمتاع ، وبما يقدمون إلى البيت من أنواع الهدى ، وبما يحملون فوق ذلك إلى الأصنام من نذور وقرابين .

وكان الرقيق من العبيد والإماء كذلك مورداً من موارد الرزق وسبباً من أسباب النعمة التي يستمتع بها السادة من قريش ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من السادة في جميع الأمم والشعوب . فكيف غير محمد ﷺ .. هذا المجتمع المملئ بالفساد ، وبالأساطير ، وبعبادة الأصنام .. ؟

مبادئ الإسلام .. صدمة لقريش

كان الرقيق فى المجتمع العربى بابا آخر من أبواب الثروة التى ينعم بها السادة من قريش ، لا يقل فى أهميته عما ينعمون به من الأموال والأغنام والثمار وعروض التجارة ، بل ربما كان عندهم أكثرها أهمية ، لماذا ؟

لأن الرقيق .. هم الأيدى العاملة التى تعمل فتننتج فى كل ناحية من نواحي الإنتاج ، وهم فوق ذلك مظهر من مظاهر الأبهة والسلطان ، يحرص عليه السادة كل الحرص ، ويتنافسون فيه أشد التنافس .

قضت مكة دهرا طويلا وهى تعيش فى ظل هذا النظام ، حتى أصبح عقيدة راسخة فى أهلها .. أن السادة لهم السيادة المطلقة ، وأن العبيد لهم العبودية المطلقة .

وأن الأحلاف لهم الأمن والحماية ما داموا حلفاء للسادة ، فإذا ما تقطعت بهم أسباب هذا الحلف فهم معرضون للذى فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم .

وقد اصطبغت هذه العقيدة بصيغة الدين ، حتى أصبح لها ما للدين من قداسة واحترام ، ذلك أنها تتصل فى بعض أوضاعها بالبيت الذى يحجون إليه ، وبالألله التى يعبدونها ويقدسونها .

وكانت مبادئ الإسلام التى جاء بها من محمد ﷺ تأبى هذا النظام وتعارضه كل المعارضة ، فقد جاء الإسلام يسوى بين السيد والعبد ، وبين القوى والضعيف ، وبين الغنى والفقر ، وجعل الإيمان والعمل الصالح مقياس التفاضل بين الناس ، فالناس أمام الإسلام إخوة سواسية ، لأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ودمائهم وأموالهم وأعراضهم حرام بينهم . فلا يحل للمسلم دم أخيه ولأمواله ، ولا عرضه إلا بالحق :

بسم الله الرحمن الرحيم : " إنما المؤمنون إخوة " ، " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

فكان هذا المبدأ - مبدأ المساواة بين السادة والعبيد - صدمة عنيفة للسادة فى سيادتهم ، وكان أول من أصيب بهذه الصدمة سادة قريش فى مكة .

عقيدة التوحيد .. صدمة أخرى لقريش

كان الإيمان بالدار الآخرة صدمة أخرى لسادة قريش ، لا تقل في عنفها عن الصدمة الأولى (المساواة بين السادة والعبيد) . فقد كانوا يعيشون في حرية مطلقة ، لا تحدّها حدود ، ولا تقيدّها قيود ، يلعبون ويرتعون في الشهوات كما يشاءون ، ظانين أن الحياة هي الحياة الدنيا ، وأن الموت هو النهاية الأبدية ، وأنه لا رقيب هناك ولا حسيب .

فجاء الإسلام ينقض هذه العقيدة الخاطئة ، ويبين لهم أن الإنسان لن يترك سدى في هذه الحياة ، يرتع فيها كما ترتع السائمة ، بل هو مسئول عن كل ما يعمل ، محاسب عليه ومجزى عنه في حياة أخرى بعد هذه الحياة .

وما الموت إلا الإنتقال من هذه الحياة الفانية إلى تلك الحياة الباقية ، ليسعد في نعيمها من أحسن العمل في الحياة الأولى ، ويشقى في جحيمها من أساء العمل فيها ، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى ، في قوله :

بسم الله الرحمن الرحيم : " فأما الذين شقوا ففي النار ، لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين يسعدوا ففي الجنة ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ " [سورة هود ١٠٦ - ١٠٨] .

وكانت أعنف الصدمات وأشدّها خطرا عليهم عقيدة التوحيد ، التي جعلها الإسلام أساسه الأول ، وهي الإيمان بأن الله وحده هو الإله الحق ، وأن كل ما عداه من الآلهة زيف باطل وأنه هو وحده مالك الملك ، وواهب الرزق ، وإليه المرجع والمصير .

فقد هدمت هذه العقيدة دينهم ، وقوضت عقائدهم ، وكشفت لهم عن حقيقة هذه الأوثان التي يعبدونها والتي يعيشون في ظلها سادة على العرب ، فإذا هي وهم من الأوهام لا قيمة له ولا غناء فيه .

ولو كره الكافرون

إن هذا الدين الجديد الذى دعا إليه محمد ﷺ خطر عظيم يهدد سيادة قريش .. والعرب .. ويقلق أمنهم وراحتهم ، ويقلب الأوضاع التى تعارفوا عليها وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلا بعد جيل .

إن هذا الدين يسوى بين العبيد والسادة ، فكيف يكونون هم وعبيدهم بمنزلة سواء ؟ . وكيف يمكن أن يكون العبيد إخوة للسادة ، لهم مالهم وعليهم ماعليهم ؟ . وكيف يمكن تسخير هؤلاء العبيد إذا ما أحسوا بأنهم أكفاء لسادتهم فى منازل الشرف والكرامة ؟ .. ومن يدري ، فلعلهم أن يكونوا أكرم عند الله من ساداتهم ..؟ وكيف تستقيم أمورهم بعد ذلك فى تجارتهم وزراعتهم ، وفى رعاية أنعامهم وخدمة بيوتهم ، وفى كل ما يسخرله هؤلاء العبيد من شئون حياتهم ؟

إنه الفوضى والإضطراب إذن ؟ .. بل هو الفساد الشامل يدعو إليه محمد ﷺ وينشره بين الرقيق والدهماء فيعزيهم بساداتهم ويفسدهم عليهم ..

،إنه كذلك ينذرهم عذاب الآخرة ، ويخوفهم عاقبة هذه الحرية الواسعة التى يستمتعون بها .. إنه تضيق للحرية ، ومبالغة فى الحرمان ، وإنحدار بهم إلى منزلة العبيد ، وإلا فماذا يكون الفرق بينهم وبين عبيدهم ، إذا هم حوسبوا بهم إلى منزلة العبيد ، وإلا فماذا يكون الفرق بينهم وبين عبيدهم ، إذا هم حوسبوا على الصغيرة والكبيرة كما يحاسب العبيد ؟

ماذا بقى لهم بعد ذلك من أسباب السيادة والمجد إن نجحت هذه الدعوة ؟ .. لاشئ !! .. فكان لابد لهم أن يقاوموها ، بكل قوة . ويقول سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

" يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون "

صدق الله العظيم [سورة التوبة ٣٢]

أول دم أريق فى الإسلام

- استمد رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سرا ، وأصحابه من حوله يدعون بدعوته ، فيستجيب لهذه الدعوة من أراد الله له الهداية من رجال مكة ونسائها ، فيزداد عدد المؤمنين بها يوما بعد يوم ، لكنها كانت زيادة ضئيلة متباطئة ، تزداد فى تعثر وتمشى على استحياء ، إذ كان الناس فى مكة يخشون بأس قريش وسلطاتها ، فكان الذين يسلمون منهم يسلمون فى حذر وخوف .
- وكان الرسول ، ﷺ يسر إلى أصحابه تعاليمه ، ويحذرهم أن يستعلنوا بصلاتهم ودعوتهم ، مخافة أن تتسرب أنباؤها إلى قريش ، فتقضى عليها وهى لا تزال قليلة الانتصار ، فكان أصحاب الرسول إذا أرادوا أن يصلوا ، خرجوا إلى ظواهر مكة ، وأمضوا فى شعاب الجبال ، فصلوا هنالك فى منعطفاتها المنعزلة ، مستخفين من عيون القوم خشية أن تراهم .
- لكن أنباء الدعوة على رغم ذلك تسربت إلى قريش ، فأخذوا يراقبون محمدا ﷺ ، وصحبه ليعرفوا حقيقة ذلك الأمر الذى يجتمعون له ، ويتخافتون به ، ويعتزلون القوم من أجله .
- فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب الرسول ﷺ فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم . فضرب سعد يومئذ بلحى بعير (أى عظم من عظام الفك) فشج به رأسه ، فكان هذا أول دم أريق فى الإسلام ، وكانت هذه أول معركة بين المسلمين والمشركين فى مكة .

الله يبعث العظام بعد رميم

جلس أشراف قريش عند الكعبة ، وبينهم ابو سفيان ، وأبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط ، وقد جاء إليهم الرسول ﷺ يدعوهم الى دين الله ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه .

قال أبو سفيان : أو ينزل الوحي على هذا الرجل ، وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك ابو مسعود وعمر بن الخطاب سيد ثقيف ؟

قال أبو جهل : أو تصدق أنه ينزل عليه وحى يا ابا سفيان ..؟ إنه الساحر .. فرق جماعتنا وسب آلهتنا .

قال أبو سفيان : ماذا نفعل يا ابا جهل .. لو أن عمه ابا طالب أسلمه الينا .. لكن لا يريد أن يسلمه لشيء أبدا ..

وقال عقبة بن أبي معيط : إن ذكره قد بلغ المدينة .

وقال أبو جهل : وغدا يبلغ ذكره بلاد العرب كلا يا عقبة بن معيط .

قال عقبة : أعلمتم أنه يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى دينه؟

قال أبو جهل : هذا ما أخشاه يا عقبة !!

قال عقبة : وإنه ليزعم لهم أن بعد الموت بعثا وجنة يدخلها من تابعه ، ويصلى نارقياها من خالفه .

قال أبو جهل : إنك جالسته وسمعت منه ، لقد بلغنى ذلك يا عقبة .. وإن وجهى حرام إن أنت جالست إليه

قال أبو سفيان : هو مقبل .

قال أبو جهل : نعم .. وخلفه صاحبه ابو بكر .

قال عقبة : انتظروا .. حتى أغمره ببعض القول .

قال ابو جهل : إفعل ..

قال عقبة : يا محمد .. أنت تزعم أن الله يبعث العظام بعد أن تكون

رميما ؟

ويقول محمد ﷺ .. نعم .. أنا أقول ذلك .. يبعثه الله وإياك بعدما

تكونان هكذا .. ثم يدخلك الله النار .. !!!

لا أعبد ما تعبدون

يقول عقبة للرسول ﷺ : أتقول ببعثنى الله ربك بعد أن أكون رميما ؟

ويقول محمد ﷺ : نعم ..

ويضحك عقبة : ببعثنى بعدما أكون مثل هذه العظام التى أصبحت رميما ؟؟ !!

ويتلو محمد ﷺ : " بسم الله الرحمن الرحيم .. وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ، وهو الخلاق العظيم " صدق الله العظيم .. [سورة يس ٧٨-٨١]

قال عقبة : يا محمد .. هلم .. فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد .. كنت قد أخذت بحظك منه !!! ويتلو محمد ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم : " قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين .. " صدق الله العظيم . [سورة الكافرون]

قال عقبة : نعم .. لنا ديننا وهو خير من دينك هذا .. ويتلو محمد ﷺ " بسم الله الرحمن الرحيم " .. ويوم بعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا " صدق الله العظيم . [سورة الفرقان . آية ٢٧]
قال أبو جهل (صانحا) اتركه يا عقبة ينصرف .. بعد أن عاب آلهتنا

قال عقبة : يا محمد .. أنت الذى تقول إن إلهك خير من آلهتنا ..

ويقول محمد ﷺ : نعم أنا الذى أقول ذلك !!

أتقتلون رجلا يقول ربى الله !!

قال عقبة لرسول الله ﷺ : لا تدعوه يرحل ..
ويقول أبو بكر رضى الله عنه (مرتاعا) .. ماذا تفعلون ؟
ماذا تريدون به ؟ .. ماذا تريدون به ؟ ..
قال عقبة : اقتلوا محمدا ..
ويدافع أبو بكر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ..
ويقول متأثرا : اتقتلون رجلا يقول ربى الله ..
وتعالت أصوات الكفار حول الرسول ، هيا نقتله .. هيا نقتله ..
وصاح أبوسفيان : دعوا محمدا .. دعوا محمدا .. هذا عمه حمزه
متوشحا قوسه وسلاحه قادم إلينا ..
وقد تساءل البعض .. أمحمد نبي أم عظيم ؟ .. قبل كانت دعوته
صادرة عنه ، كما تصدر الدعوات من المصلحين والعظماء ، أم كانت دعوته
تلك التى قام بها من نوع آخر غير تلك الدعوات التى تعتمد على الجهد
البشرى وحده ؟
إن دعوة محمد ﷺ كانت شيئا آخر غير دعوات المصلحين من
القادة والزعماء ، وأرياب الإصلاح من غير رسل الله وأنبيائه . فقد اتسمت
دعوة محمد ﷺ بسمتين خلت منهما أية دعوة من دعوات الإصلاح البشرى .
لأنها امتدت فى الزمان والمكان إلى أبعد حد فيها ولا تزال الأيام بعد
مضى خمسة عشر قرنا .. تزيد فى امتدادها .

ونتساءل .. وما السمة الأخرى ؟
فهى أن دعوة محمد ﷺ قد خلت من الدوافع الذاتية والأهواء
الشخصية .. وأن رسالة محمد ﷺ رسالة عقلية .. تعتمد على الحجة
الواضحة .. والمنطق القويم ..

لهذا رشحته السماء لأعظم رسالة حملها نبي ..
نعم .. إنه يحمل آخر كلمة من الله سبحانه وتعالى إلى الناس .. هى
الكلمة الأخيرة .. الكلمة الحاسمة فيما بين السماء والأرض .. فليس بعدها
كلام .. إنها الخاتمة .. وهو خاتم النبيين .. ليس بعده نبي .. وليس وراءه
بشير ولا نذير ..

تبت يدا أبى لهب وتب

لقد حرص الرسول ﷺ على أن يتجنب مواقف الإصطدام بينه وبين قومه ، فاختار له ولأصحابه مكانا منعزلا عن الناس ، هو دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وهو سيد من سادات قريش الذين سبقوا إلى الإسلام ، وكانت داره تلك على مقربة من الصفا ، فكان رسول الله ﷺ يجتمع فيها بأصحابه ، يعظهم ويرشدهم ويصلى بهم ، ويتلو عليهم ما أوحى إليه من آيات القرآن الكريم . فكانت تلك الدار لهم مسجدا للعبادة ، واستمرت الحال على ذلك نحو ثلاث سنوات ، وعدد المسلمين يزداد شيئا فشيئا ، حتى بلغ من أسلموا من الرجال والنساء نحو الأربعين ، أكثرهم من المستضعفين والفقراء ، وأقلهم من الأشراف والسادة .

ثم أوحى الله إلى رسوله أن ينذر عشيرته الأقربين ، وكان فيهم عمه " عبد العزى بن عبد المطلب ، وكان يدعى "أبا لهب " ، لأن وجهه - فيما يقال - كان مشرقا حسنا ، تتلهب وجنتاه بالحمرة كما تتلهب النار ، وكان سريرا من سراة قريش ، والنار لا تخفت في بيته من شدة كرمه ، وكان كثير المال مسموع الكلمة ، وكان شديد التعصب لدين قريش وتقاليدها .

واندفع ابو لهب في عداوته الى أبعد حد ، فلم يراع في ذلك رحima ولا قربى ، ولم يقدر أن ذلك الذى يعاديه هو ابن أخيه وصهره وجاره الأدنى ، وأصبح أعدى أعداء النبي ﷺ وحتى انزل الله فيه سورة عنيقة حادة ، تعينه بالإسم ، وتنذره هو وزوجته بالويل وسوء المصير في الدنيا والآخرة ، فقد كانت هي الأخرى عنيقة العداوة للرسول ﷺ وكانت ترتكب من الحماقة في عداوتها ما لا يتفق مع مكانتها في قريش ، وتأتى من الأمور ما يهدد بها الى درك السفلة الأوغاد .

قال سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم

" تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد " صدق الله العظيم "

حمالة الحطب

كان النبي ﷺ جاراً ملاصقاً لعمه أبى لهب ، وكان مع ذلك يمت إليه بصلة المصاهرة . إذ كانت إبنته - رقيه وأم كلثوم - زوجتين لعتبة وعتيبة ابني أبى لهب . ولكن هذه الصلات جميعاً لم تكن لتخفف شيئاً من حدة العداوة والحقد في نفسه . بل كانت عداوته للرسول الكريم ﷺ تزداد يوماً بعد يوم .

وكانت زوجة أبى لهب .. أم جميل بنت حرب ، وهي أخت أبى سفيان بن حرب زعيم بني أمية .. ذلك الذي ظل على عداوته للإسلام ، ورسوله ، حتى فتح الله عليه مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فدخل فيه مع الداخلين .

لقد كانت (أم جميل) تحمل في صدرها من الكراهية على رسول الله ﷺ أضعاف ما كان يحمل زوجها ، وكان دأبها أن تثير الفتنة بينه وبين عشيرته ، وأن تسعى لدى القوم بالنميمة لتفسد عليه قلوبهم ، حتى وصفها الله أشنع وصف فسماها " حمالة الحطب " ، وهي صفة النمامة الواشية ، التي تشعل نار الفتنة بين الناس ، فتحرق ما بينهم من صلات الود والتراحم ، وهبط بها إلى أسفل درك حين صورها في صورة الحطابة ، التي لا تكاد تمشي إلا و" في جيدها حبل من مسد " تلم فيه الحطب من هنا ومن هناك . ثم تحمله إلى كوخها لتشعل به نارها .

وكانت تعمل دأبها على تحقيره وامتداده ، وكانت تعيره بالفقر حيناً ، وبموت البنين حيناً ، وحيناً تضع في طريقه الشوك والقذر .

ومهما يكن من شيء ، فقد كانت هي وزوجها أبو لهب ، من أشد الناس عداوة للرسول ودعوته ﷺ .

ياحبيب الرحمن ، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان .

إن الله سريع الحساب

أخذ صوت الإسلام بعد " صيحة الصفا " حين وقف محمد ﷺ على الصفا يدعو قريش إلى الإسلام . بعد أن ظل خافتا نحو ثلاث سنين ، وأخذ الناس يتسائلون عن هذا النبأ العظيم الذى جاءهم به محمد . وأخذ المستضعفون من العبيد والإماء ومن المساكين والفقراء ، ومن الأتباع ، يستمعون إلى هذه الدعوة ، فيتسمون منها روح الأمل يهب عليهم ، فيطمعهم فى حياة أفضل من هذه الحياة ، وفى منزلة أكرم من هذه المنزلة ، فقد كانوا يعيشون فى غمرة من الإهمال والظلم ، تجعلهم أحط درجة من الحيوان الأعجم ، ويقضون أيام الحياة مغمورين مظمورين ، مرغمين على أن يقبلوا عيشة الذل والبؤس حتى يموتوا . فهم يقطعون أيامهم بلا أمل ولا رجاء ، ويعيشون ويموتون نسيا منسيا ، كأنهم سقط المتاع .. أى لاقيمة لهم فى هذا الوجود .

فجاءهم محمد ، دعوة الإسلام التى كلفه بها الله سبحانه وتعالى ، لينقذهم من ذلك اليأس القاتل ، ويفتح لهم باب الأمل فى حياة أخرى بعد هذه الحياة ، فيها العدالة المطلقة التى لا ظلم فيها ، وفيها السعادة الدائمة التى لا إنقطاع لها ، وهون عليهم أمر الحياة الدنيا وما يلاقون فيها من شدة العيش ، وقسوة الظلم .

أما هؤلاء الذين يظلمونهم من الأقوياء والسادة ، فليس الله غافلا عنهم . فيقول سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : " إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هراء ... وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد ، سرابيلهم من قطران ، وتغشى وجوههم النار ، ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب . " صدق الله العظيم " [سورة إبراهيم ٤٢ - ٥١] .

ينصر رسوله على الكافرين

بعثت المبادئ المحمدية السمحة الأمل في نفوس المستضعفين ،
فأقبلوا يتدافعون إلى الإسلام إقبال الظماء على زلال الماء ، فیتلقاهم رسول
الله ﷺ بالبر والتكريم ، ويبسط لهم وجهه وقلبه ومجلسه ، ويسوى بينهم
وبين الذين يؤمنون من السادة والأشراف ، ولا يفرق في ذلك بين الغنى
والفقير ، ولا بين القوى والضعيف ، ولا بين الحر والرقيق . ويقف معهم
جميعاً موقف الأخ الشقيق والوالد الرحيم . ويقول سبحانه وتعالى :
" يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم "
[سورة الأعراف : ١٥٧] .
ويضرب لهم المثل الكامل بخلقه ودينه ، وهم يتبعونه ويقلدونه ،
ويترسومون خطاه فيما يقول وما يفعل ، ويطيعونه طاعة الإكبار ، والإخلاص
والحب .

ولم تكن قریش في أول الأمر تدرك ما في هذه الدعوة من خطر على
سيادتها ودينها، فكانت تنظر إلى رسول الله ﷺ وصحبه فلا تأبه لهم ، ولا
تلقى بالآل إليهم ، ولا ترى فيما يفعلون شيئاً تنكره عليهم ، فهو لا يعدو - كما
يظنون - لا يعدو أن يكون واحداً من ثلاثة .

أما أن يكون كاهناً يتوهم الحق توهما كما يصوره له تبيعه من الجن ،
ثم يصوغه كلاماً أجوف . في ألفاظ مسجوعة ، وعبارات موضوعة ،
لها طنين ورنين لا تغنى من الحق شيئاً .

وإما شاعريهم في أودية الخيال ، ويسبح في متاهات الضلال ،
ويسخر الناس بخلو لسانه ، وسحرياته ، فيتبعه الغاؤون الذين يفسدون في
الأرض ولا يصلحون ..

وإما صابئ مجنون من أولئك الذين تضطرب عقولهم فيخرجون على
دين آبائهم ، فينبذهم المجتمع نبذ النوى . ويضطربهم إلى الفرار منه .
ولكن الله سبحانه وتعالى ينصر رسوله ﷺ على الكافرين .

وما هو بقول شاعر

يؤكد سبحانه وتعالى للضالين المشركين أن رسول الله ﷺ ليس واحدا مما يزعمون ، ويقسم على ذلك فيقول جل شأنه :

بسم الله الرحمن الرحيم : " فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ، ولا يقول كاهن ، قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين " [سورة الحاقة ٤٨-٥٣] .

ولكنهم لا يصدقون . وكلمنا رأوا رسول الله ﷺ يهتم بالدهماء ويخالطهم ، وينزلهم منازل الكرامة والإعتبار ، سخروا منه ، وعابوا عليه أن يكون رسولا ثم يهبط بنفسه إلى مستوى الدهماء ، أو يرتفع بهم إلى مستواه . ويقولون : هذا دين السفهاء ، ويضحكون من المؤمنين كلما رأوهم ، ويتفكّهون بأخبارهم ويتندرون بما يصنعون معهم .

وفى ذلك يقول الله تعالى : " إن الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين . وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون " . [سورة المطففين ٢٩-٣٢]

ورسول الله ﷺ ، لا يعاب بهم ولا يهتم بسخرهم واستهزائهم ، بل هو ماض في سبيله يدعو إلى الله على بصيرة ، وأتباعه من الضعفاء يكثرون ويتزايدون ، وقليل من السادة بين الحين والحين يسلمون .

واجتمع سادة قريش في دار الندوة ، يبحثون أمر محمد بعد أن نال من آلهتهم من الأصنام هيل ومن اللات والعزى ومن الأصنام جميعا .. فلم يبق الأمر موضع إستخفاف وسخرية ، بل أصبح موضع جد وتدبير ، أولو أتيح لهذا الرجل أن يؤلب عليهم أهل مكة وأن يصرفهم عن عبادتهم فماذا تؤول إليه تجارة مكة ؟ وماذا يكون مقامها الديني ؟

سب آلہتنا ، وعاب دیننا

عندما رأت قریش أن رسول الله ﷺ ، يهاجم آلہتهم ، رأوا أن عمه
أبا طالب قد عطف عليه ، مشى إليه رجال من أشراف قریش ، فقالوا :
- يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلہتنا ، وعاب دیننا ، وسفه أحلامنا
، وضلل أباعنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلص بيننا وبينه .
فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فأنصرفوا .
ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه .. يظهر دين الله ، ويدعو
إليه ، ثم زاد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال ، وتضاعفوا ،
وأكثر قریش ذكر رسول الله ﷺ . بينها وتذامروا فيه ، وحض بعضهم
بغضا عليه .
ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى .
فقالوا له : يا أبا طالب .. إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا . وإننا قد
استنهيئك من ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من
شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلہتنا حتى تكفه عنا أو تنازله ،
وإياك في ذلك .. حتى يهلك أحد الفريقين .
ثم أنصرفوا عنه ..
فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم .. فآثر أن يحضر إليه
محمداً ﷺ .. ويناقشه فيما يدعو إليه .

والله لو وضعوا الشمس فى يمينى

- عندما حذرت قريش أبا طالب ، فيما يقوم به ابن أخيه محمد ﷺ ..
من تسفيه آلهتهم ، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له :
- يا ابن أخى .. إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا .. وكذا . فابق على
وعلى نفسك .. ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق .
- فظن رسول الله ﷺ أنه بدا لعمه فيه أمرا ، وأنه خاذله ، ومسلمة
لأعدائه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .
- فقال رسول الله ﷺ .. قولته الشهيرة :
- ياعم .. والله ، لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ،
على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ..
- ثم استعبر رسول الله ﷺ .. وبكى .. ثم قام .. فلما ولى .. ناداه ابو
طالب فقال :
- أقبل يا ابن أخى .. فقل ما احببت .. فوالله لا أسلمك لشئ أبدا ..
- بالعظمة الحق وجلال الإيمان به !! . لقد اهتز الشيخ لما سمع من
جواب محمد .. ووقف مبهورا أمام هذه القوة القدسية والإرادة السامية فوق
الحياة وما فى الحياة . ولم تك الا لحظة اهتز فيها وجود أبى طالب متحيرا
بين غضبة قومه ، وموقف ابن أخيه .. مما دفعه إلى أن يقول .. فوالله لا
أسلمك لشئ تكرهه أبدا !!

وأعطيكُم إبنى تقتلونهُ !!!

عندما عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له :
- يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذهُ ، فلك عقله ونصره ، واتخذهُ ولدا فهو لك .. وأسلم لنا ابن أخيك - هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم - فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

قال أبو طالب :

- والله لبئس ماتسوموننى ! .. أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابنى تقتلونهُ ؟ .. هذا والله ما لا يكون أبدا ..

فقال المطعم بن عدى :

- والله يا أبا طالب لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا .

فقال أبو طالب للمطعم :

- والله ما انصفونى .. ولكنك قد أجمعت خذلانى ، ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك .

ورأى أبو طالب أن الأمر بينه وبين قريش قد أصبح أمرا خطيرا ، لاهزل فيه ، وأنه أصبح أن كرامة لابد أن تصان ، وعصبية لابد أن يدافع عنها ..

لكن الله خيرٌ حافظاً للرسول ﷺ

جمع أبو طالب بنى هاشم وعرض عليهم ما دار بينه وبين قريش ، وما كان من أمره وأمرهم ، وأنهم يريدون أن يسلم لهم محمد ﷺ ليقتلوه ، ويتخلصوا من رسالته ودعوته لهم بعبادة الله الواحد الأحد .

وتشاور مع بنى هاشم فيما يجب أن يفعل ، فاتفق رأيهم جميعاً على أن يذودوا عن شرفهم ، وأن يققوا جميعاً صفاً واحداً وراء رسول الله ﷺ . وإن لم يكونوا على دينه الجديد .. إلا أبا لهب . فقد خرج بمفرده على إجماعهم ، وأثر أن ينحاز إلى جانب العدو . وإن شذ في ذلك عن مألوف العرب وتقاليدهم ، مدفوعاً إلى ذلك بما يكن في صدره من الحقد على رسول الله ﷺ وعلى دعوته .

وهكذا وقفت قريش كلها صفاً ، ووقف بنو هاشم صفاً ، وأخذت العداوة بين الفريقين تعمل عملها .. قريش تدافع عن دينها وسيادتها ، وبنو هاشم يدافعون عن شرفهم وكرامتهم .. وكان للخصومة القديمة بين بنى هاشم وبين بنى أمية أثراً في اشتداد هذه العداوة وتسويتها ، ولكن بنى هاشم صمدوا لها صمود الأبطال ، ولم تسمح كرامتهم أن يتخلوا عن رسول الله ، وإن كان قد احتملوا بسببه أذى كبير .

واعتصم محمد ﷺ بعون من الله بقومه من أذى قريش ، كما اعتصم بخديجة في داره من هم نفسه . فقد كانت له بصدق إيمانها ، وعظيم حبها ، تسرى عنه كل همه ، وتقوى فيه كل عارض ضعف من أثر أذى خصومه ، وامعانهم في مناوئته . ولكن الله خيرٌ حافظاً له ﷺ.

بداية المؤامرة

إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان زعيما فيهم ، وقد حضر موسم الحج . فقال لهم :

- يامعشر قريش ، إن وقود العرب ستقدم عليكم في هذا الموسم ، وقد سمعوا بأمر محمد ، فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا : فلائت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقل به .

قال : بل أنتم .. فقولوا .. اسمع .

قالوا : نقول .. كاهن .

قال : لا والله .. ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ..

قالوا : فنقول .. مجنون .

قال : ماهو بمجنون .. لقد رأينا الجنون وعرفناه

قالوا : فنقول .. شاعر

قال : ماهو بشاعر .. لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول .. ساحر

قال : ماهو بساحر . لقد رأينا السحار وسحرهم ..

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة .. وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل .. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا .. هو ساحر .. جاء يقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

ففرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين جاء موسم الحج .. لايمر بهم أحد إلا حذروه من محمد ﷺ وذكروا لهم أمره .

كيف ينالون من محمد ﷺ

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى في رسول الله ﷺ ، وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه ، يصنفون القول في رسول الله ﷺ ، وفيما جاء به من الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : (كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين " أى أصنافا .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ ، لمن لقوا من الناس ! وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلاد العرب .

فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب ، وبلغ البلدان .. ذكر بالمدينة .

ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ ، حين ذكر ، وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم .

وقد أثار موقف أبى طالب ثائرة السادة من قريش ، ودفعهم الى الشطط في محاربة الدعوة ، فقد عرضوا عليه كل ما يمكن من عروض الترضية ، ليتخلى لهم عن ابن أخيه ، فلم يظفروا منه بطائل ، ووقف من دونه كالطود ويحوطه ، ومن ورائه بنو هاشم يناصرونه ويشدون أزره .

واستمر رسول الله ﷺ ، في دعوته ، يدعو الناس الى الإيمان بالله الواحد الأحد القهار ، ونبذ ما يعبدون من دونه مما لا يضرهم ولا ينفعهم . وتتابع نزول القرآن الكريم عليه ، في تحقير آلهة المشركين ، وجعل رسول الله ﷺ كلما نزلت عليه آية تلاها على أصحابه ، فيذيعونها في أرجاء مكة ، فيشتد لذلك غضب الملا من قريش ، ويدفعهم الى الثورة ، ويحفزهم للإنتقام من هذا الذى يعرض لآلهتهم بالسوء .. ولكن ماذا ينالون منه وبنو هاشم من حوله يحوطونه ويمنعونه ؟ .

أحد .. أحد .. قالها بلال

واشتد بقريش الغيظ ، فلم يجدوا متنفسا لغيظهم إلا أن يثوروا بالضعفاء الذين أسلموا واتبعوا محمدا ﷺ ، ممن لا سند لهم بمنعهم ، ولا ظهر لهم يحميهم ، فانقضت كل قبيلة على من فيها من العبيد والإماء ، والمساكين والفقراء ، والأتباع والموالي ، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم . وافتنوا في ذلك أفاتين . وابتدعوا ضروبا من الشر ، وتدل بوحشيتها وقسوتها على ما كانت تغلى به صدورهم من الثورة والغيظ ، ومن الحقد الشنيع على دعوة الإسلام ، وعلى كل من يؤمن بها ، أو يتعصب لها ، أو يدافع عنها .

فمنهم " بلال بن رباح الحبشى " وكان أبوه من سبى الحبشة وامه (حمامة) سبية أيضا .. فصار بلال لأمية بن خلف الجمحى ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه فى الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول :

لا والله ، لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .. فيقول وهو فى ذلك البلاء :

" أحد .. أحد " ..

فراه أبو بكر يعذب ، فقال لأمية بن خلف .

- ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ .. فقال : أنت أفسدته فأبعدته .

- فقال له أبو بكر : عندى غلام على دينك اسود أجلد من هذا ، أعطيكه به

- قال : قبلت

فأعطاه أبو بكر غلامه ، وأخذ بلال فأعتقه ، فهاجر ، وشهد الغزوات كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

صبرا آل ياسر

تفنن سادة قريش فى تعذيب الذين أسلموا .. ومنهم عمار بن ياسر أسلم هو وأبوه وأمه ، وقد أسلم ورسول الله فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، بعد بضعة وثلاثين رجلا . وكان ياسر حليفا لبني مخزوم ، فكانوا يخرجون عمارا وأباه وأمه إلى الأبطح أى الفضاء الواسع الذى يكثُر فيه الحصى . إذا حميت الشمس ، يعذبونهم .

فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة ..

فمات ياسر فى العذاب ، وأغلظت إمرأته سمية القول لأبى جهل ، فطعنها فى قبلها بحربه فى يدية .. فماتت . وهى أول شهيدة فى الإسلام . وشدّدوا العذاب على عمار ، بالحد تارة ، وبوضع الصخر الملتهب على صدره تارة ، وبالتغريق تارة أخرى . وقالوا :

- لن نتركك حتى تسب محمدا وتقول فى اللات والعزى خيرا .. ؟
ففعل ، فتركوه ، فأتى النبى ﷺ ، يبكى ، فقال له " ماوراءك ؟ " .
قال عمار : شر يارسول الله !! كان الأمر كذا وكذا ، قال : " فكيف تجد قلبك ؟ " ..
قال : أجده مطمئنا بالإيمان . قال الرسول الكريم ﷺ : يا عمار إن عادوا فعد " فأنزل الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان "

سورة النمل : ١٠٦

وشهد عمار جميع الغزوات مع رسول الله ﷺ .
ياحبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان
هو فى الجسم بشر ، وهو نور فى البصيرة والبصر .

من أوائل الذين عذبتهم قريش

ومن أوائل الذين عذبتهم قريش عذابا شديدا أليما :

9 خبيب بن الأرت .. كان أبوه سواديا من كسكر ، فسياء قوم من ربيعه وحمله إلى مكة . فباعوه في سباع بن عبد العزى الخزاعي ، حليف بني زهرة .. وكان إسلامه قديما .. قبل دخول رسول الله دار الأرقم . فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا ، فكانوا يعرونه ثم يلصقون ظهره بالرمال الملتهبة . والحجارة المحماة بالنار .. ولم يجبههم إلى شئ مما أرادوا منه ، وهاجر .. وشهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ .

9 ومنهم صهيب بن سنان الرومي .. ولم يكن روميا ، وإنما نسب إليهم لأنهم سيوه وباعوه .. كناه رسول الله ﷺ " أبا يحيى " وكان ممن يعذب في الله ، فعذب عذابا شديدا ، ولما أراد الهجرة .. منعه قريش ، فافتدى نفسه منهم بماله أجمع .

9 وأما عامر بن فهيرة .. فهو مولى الطفيل بن عبد الله الأزدي - وكان الطفيل أخا عائشة لأمها ، أم رومان - أسلم قديما قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم . وكان من المستضعفين ، يعذب في الله فلم يرجع عن دينه . اشتراه أبو بكر وأعتقه ، فكان يرعى غنما له ، وكان يروح بغنم أبي بكر إلى النبي ، وإلى أبي بكر لما كان في الغار ، وهاجر إلى المدينة يخدمهما ، وشهد بدرًا وأحدا . واستشهد يوم (بئر معونة) ولما طعن قال : " فزت ورب الكعبة .. !! "

9 ومنهم لبينة ، جارية بنى مؤمل بن حبيب .. أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب ، وكان عمر يعذبها حتى تفتن ، ثم يدعها ويقول : " إنى لم أدعك إلا سامة " . فتقول : كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم . فاشتراها أبو بكر ، فأعتقها .

وازداد عدد المعذبين

ومن الذين عذبوهم العذاب الشديد .. أبو فكيهة .. وكان عبدا لصفوان بن أمية .. أسلم مع بلال ، فأخذه أمية وربط رجله فى حبلا ، وأمر به فجر .. ثم ألقاه فى الصحراء الملتهبة . وخنقه خنقا شديدا ، ومعه أخوه أبى بن خلف ، فيقول :

- زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره .
ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمر به أبو بكر ، فاشتراه وأعتقه . ثم مات قبل بدر .
ومن الذين تعذبوا أيضا زنييرة .. وكانت لبني عدى ، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت . فقال لها : إن اللات والعزى فعلا بك .
ف قالت : وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ؟ .. ولكن هذا أمر السماء ، وربى قادر على رد بصرى ..

فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها .
ف قالت قريش : هذا من سحر محمد .. فاشترها ابو بكر وأعتقها ..
ومنهم النهدية .. مولاة لبني نهد .. فصارت لإمرأة من بنى عبد الدار ، فأسلمت . وكانت تعذبها وتقول :

- والله لا أقلعت عنك .. أو يبتاعك بعض أصحاب محمد . فابتاعها أبو بكر ، فاعتقها .
ومن اللات عذبن .. أم عنيس .. وهى أمة لبني زهرة ، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها أشد العذاب وأحرق شعرها .. وأصابها . فابتاعها أبو بكر .. فاعتقها .

وهكذا أسرف المشركون فى تعذيب الضعفاء من المسلمين ، وأرهقوهم إرهاقا شديدا ، حتى كان منهم من لا يقوى على احتمال العذاب فيموت فى أيديهم ، ومنهم من تضطره قسوة التعذيب الى مجازاة المشركين ، فيرضيهم بظاهر القول ، وقلبه مطمئن بالإيمان .
وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

حتى الرسول ﷺ .. عذبه

كان رسول الله ﷺ يتألم لأصحابه أشد الألم ، ولكنه كان يدعوهم الى الصبر ، واحتمال ما يلحقون من العذاب والأذى في سبيل الله ، حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده . وكان يهون عليهم شدة العذاب بما يذكر لهم من سير المؤمنين في الأمم التي خلت ، وما كان من قوة احتمالهم ، ورسوخ إيمانهم وصبرهم على الوان من العذاب اشنع وأقسى مما يلاقون هم ، ويؤكد لهم أن نصر الله أت لا ريب فيه . وأن رحمة الله قريب من المحسنين . على أن كثيرا من المسلمين الذين كانت لهم عشيرة تجمعهم ، لم يسلموا كذلك من الأذى . فقد عذب عثمان بن عفان وكان من عليّة القوم ، أوثقه عمه بحبل من مسد ، وجعل يضربه ضربا مبرحا . وكان الزبير بن العوام يلقي في حصير ويترك ليستنشق الدخان . وشج عمر بن الخطاب قبل إملأته اخته فاطمة حتى سال منها الدم ، وضرب كذلك زوجها سعيد بن زيد . وضرب أبو بكر حتى شج رأسه وسال منه الدم ، وغشى عليه ، وحتى خرج مهاجرا الى الحبشة لولا أن رده ابن الدغنة سيد الأحابيش وأجاره من أذى قريش .

ولم يسلم رسول الله ﷺ ، من الأذى ، على رغم ما كان يحوطه من حماية بنى هاشم ، فقد كانوا يضعون الشوك والقذر في طريقه ، وكانوا يلقون التراب على رأسه وهو سائر ، ويضعون عليه سلى الذبيحة ، - أي الكيس الذي يكون فيه الجنين وهو في بطن أمه - وهو ساجد في البيت الحرام . وخنقه عقبة بن أبي معيط في رجال من قريش حتى كادت تزهر روحه ، لولا أن تداركه أبو بكر فخلصه منهم قائلا :

- أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ وسبه أبو جهل سبا قبيحا يوم أسلم عمه حمزه . وسلطت عليه ثقيف سفهاءها وهبييتها .. يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه . ولكن كل ذلك لم يفت في عضده ، حتى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .
ياحبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان .
هو في الجسم بشر ، وهو نور في البصيرة والبصر ...

إسلام حمزة

مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ وكانت هناك جارية لعبد الله بن جدعان في مسكن لها قريب ، فسمعت ما حدث .

وذهب أبو جهل إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم .. ولم يلبث حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه ، أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له . وكان يحب الصيد والقنص . وكان إذا رجع من قنصه ، لا يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة . وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادى من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم .

وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة ، فلما مر بالجارية ، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته حزينا قالت الجارية لحمزة :

- يا أبا عمار ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد منذ لحظات من أبي الحكم بن هشام ؟ .. وجده هاهنا جالسا ، فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد .

فاحتلم حمزة الغضب ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، معدا لأبى جهل ، إذا لقيه ، أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه . حتى إذا قام دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه . حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال :

- أتشتمه ؟ .. فانا على دينه ، أقول ما يقول ، فرد ذلك على أن استطعت!!

- فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل

- فقال أبو جهل : دعوا أبا عمار ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سببا قبيحا .

فلما أسلم حمزة ، عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيحميه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ﷺ

هو في الجسم بشر ، وهو نور في البصيرة والبصر .

إغراء الرسول ﷺ

قال عتبة بن ربيعة يوما ، وكان سيدي ، وهو جالس في نادى قریش ، ورسول الله ﷺ جالسا في المسجد وحده :

- ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيما شاء وكيف عنا؟

وذلك حين أسلم حمزه عم النبي ﷺ ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون.

فقالوا : بلى يا أبا الوليد .. قم إليه فكلمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال :

- يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت .. فى المنزلة الرفيعة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم .. فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آياتهم ، فاسمع منى .. اعرض عليك أمورا تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ : " قل يا أبا الوليد اسمع " قال : يا ابن أخى .. إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا .. جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا . وإن كنت إنما تريد به ملكا ملكتك .. وإن كنت .. إنما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وإن كان هذا الذى يأتيك رنيا تراه .. لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب .. وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يسمع منه .. قال :

- أفرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم ..

قال رسول الله ﷺ .. إذن فاستمع منى

تنزيل من الرحمن الرحيم

استمع رسول الله ﷺ .. إلى ما عرضه عليه عتبة بن ربيعة من عرض الدنيا . ثم قال له :

- استمع منى

- قال عتبة : افعل .

- فقال رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم - حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنه مما تدعونا إليه " [فصلت ١- ١٣] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمدا عليهما ، يسمع منه . ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد ، ثم قال :

- قد سمعت يا أبا الوليد ، فانت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :

- نحلف بالله .. لقد جاعكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ..

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : إني سمعت قولا .. والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، واخلوا بين هذا الرجل .. وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم .. فإن تصبه العرب فقد كفيتمون بغيركم ، وإن تظهره على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلساته

قال : هذا رأيى ، فاصنعوا ما بدا لكم ..

ياحبيب الرحمن ، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان
هو فى الجسم بشر ، وهو نور فى البصيرة والبصر

فاسألوه عن ثلاث

بعثت قريش بالنضير بن الحرث ، وعقبه بن أبي معيط إلى علماء اليهود بالمدينة .

وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفا له صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل كتاب ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسالا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله .
وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جنناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقال علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول .

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟
فإنه قد كان لهم حديث عجب .

وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ .

فإن أخبركم بذلك فاتبعوه .. فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبلا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالا :

- يامعشر قريش ، قد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، وقد أخبرنا علماء اليهود أن نسأله عن أشياء قد امرونا بها .. فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل .. فالرجل متقول ..
فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ..
ياحبيب الرحمن .. ياقدوة لكل البشر اجمعين

يامحمد .. يامحمد .. صلوات الله عليك وسلامه ..

.. إلا أن يشاء الله

جاءت قريش الى رسول الله ﷺ فقالوا له :
- يا محمد .. أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، فقط كانت لهم قصة
عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ، ومغاريها ،
وأخبرنا عن الروح ما هي ؟
فقال لهم رسول الله ﷺ : " أخبركم بما سألتهم عنه غدا " ولم يقل
إن شاء الله .

فانصرفوا عنه .
فمكث رسول الله ﷺ خمسة عشر ليلة ، لا ينزل عليه الوحي ، ولا
يأتيه جبريل ، وتحدث أهل مكة عن هذا قائلين :
- وعدنا محمدا غدا .. واليوم خمسة عشر ليلة قد أصبحنا منها .. ولا
يخبرنا بشئ مما سألته عنه .
وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به
أهل مكة .
ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة " الكهف " فيها معانيته
إياه على حزنه ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ..
والروح .

بسم الله الرحمن الرحيم : " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ،
وهيئ لنا من أمرنا رشدا " (الكهف ٩-١٠) .

" إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ
قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن تدعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا
شططا " (الكهف ١٤) .

" ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا . إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا
نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا " (الكهف ٢٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم : " فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت
رشدا . قال إنك لن تستطيع معى صبرا " صدق الله العظيم

لا تسمعوا لهذا القرآن ..

لما جاء رسول الله ﷺ .. إلى قريش ، وأجاب عما سألوه من أمر الفتية أصحاب الكهف ، وعن الرجل الطواف وقد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ما هي ؟

وعرفوا أن رسول الله ﷺ قد جاءهم بالحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه ، نعتوا على الله سبحانه وتعالى ، وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم : (لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون)
أى اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبوه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه ، أو خاصمتموه يوما غلبكم

كل شئ في هذا الوجود يشدو

يا محمد

وينادي في حنان

يا محمد

أنت في الشرق بقاء وخلود

أنت في الكون وجود للوجود

يا حبيب الرحمن

ياسيد الخلق والأكام ، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

أنت في الجسم بشر ، وأنت نور في البصيرة والبصر .

الرحمن .. علم القرآن

كان أول من جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله ﷺ ، بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا :

- والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟

- قال عبد الله بن مسعود : أنا .

- قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوا به أذى .

- قال : دعوني .. فإن الله سيمنعني .

فغدا إبن مسعود ، حتى أتى الكعبة فى الضحى ، وقريش فى أنديتها

، حتى قام عندالمقام ، ثم قرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " رافعا

بها صوته " الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان .. "

وتأملوه .. فجعلوا يقولون :

- ماذا قال إبن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد .

فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ

منها ما شاء الله أن يبلغ .

ثم إنصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، والدم ينزف من

جبهته .

فقالوا له الأصحاب : هذا الذى خشينا عليك .

فقال إبن مسعود : ماكان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولنن

شنتم لا غادينهم بمثلها غدا .

قالوا : لا .. حسبك .. قد أسمعتهم مايكرهون ..

أول من هاجر من المسلمين

رأى رسول الله ﷺ ، أن كفار قريش معنونون في تعذيب أصحابه ، معنونون في وحشية قاسية إلى التنكيل بهم ، إنتقاما لآلهتهم وإبقاء على مكانتهم ، ورأى أنه غير قادر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء فخشي على أصحابه أن يفتنهم طول العذاب عن دينهم ، ورأى ﷺ أن يختار لهم مكانا يأمنون فيه على أنفسهم ، ويتوارون فيه بعض الوقت عن وجوه أولئك الظلمة . فأشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة ، وقال لهم ﷺ :

- " لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه .. "

وكانت الحبشة تدين بالنصرانية - دين عيسى بن آدم - وكان ملكها النجاشي نصرانيا صادق النصرانية . فخرج إلى الحبشة أحد عشر رجلا ، وأربعة من النسوة ، فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ، وفيهم الزبير بن العوام بن عم خديجة رضي الله عنها ، وجعل النبي عليهم عثمان بن مطعون .

فكان هذا الفوج أول من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة وكانت هجرتهم إليها في شهر رجب من السنة الخامسة من الرسالة سنة ٦١٦ ميلادية ، وقد مات فيها عبد الله ابن رسول الله ﷺ . وفي هذه السنة أيضا أسلم حمزة بن عبد المطلب (عم النبي الكريم) . وكذلك أسم عمر بن الخطاب .

فلما وصلوا إلى الحبشة ، أكرم النجاشي مئواهم ، وأحسن لقاءهم ، ووجدوا عنده من الطمأنينة والأمن مالم يجدوه في وطنهم وأهلهم ، فشجعهم ذلك على أن يبصوا في طلب إخوانهم المعذبين في مكة . فأرسلوا نفرا منهم ليخبروا رسول الله ﷺ بما هم فيه من حسن الجوار ، وطيب العيش في بلاد النجاشي ، ويعرضوا على من شاء من إخوانهم المسلمين أن يهاجروا معهم .

لماذا غضب النجاشي ؟

هاجر إلى الحبشة فى المرة الثانية عدد كبير من المعذبين فى مكة حتى بلغ عدد الذين هاجروا إلى الحبشة نحو الثمانين رجلا ، عدا من كان معهم من النساء والأطفال . فأقاموا هناك عند النجاشي فى خير مقام .. فاغتاظ أهل مكة من قريش ، وبدأوا يدبرون المؤامرات ، ويفكرون ماذا يفعلون ؟

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا ، وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم ، انتمروا بينهم ، فبعثوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما هدية إلى النجاشي ، وإلى أعيان أصحابه .

فسارا حتى وصلا إلى الحبشة ، فحملا إلى النجاشي هديته ، وإلى أصحابه هداياهم ، وقال لهم :

- إن ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومنا إلى الملك ليردهم إلينا ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم .

وخاف إن سمع النجاشي كلام المسلمين ، ألا يسلمهم ، فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان .

ثم إنهما حضرا عند النجاشي ، فأعلماه ما قد قالاه ، فأشار عليه أصحابه بتسليم المسلمين إليهما .

فغضب النجاشي من ذلك وقال :

- لا والله ، لا أسلم قوما حاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى .. حتى ادعوهم وأسألهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما ، وإن كانتا على غير ذلك مايقول هذا .. منعتهما وأحسنتم جوارهم .

كنا أهل جاهلية

أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ ، ليعرف حقيقة دينهم الجديد .
فقال لهم النجاشي :

- ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا دين أحد من الملك ؟

فقال له جعفر بن أبي طالب : أيها الملك ، كنا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسي الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف .. حتى بعث الله رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله ، وألا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، وعدد عليه أمور الإسلام

قال جعفر : فصدقناه به واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدا الله وحده لا تشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا .

فعدا علينا قوما فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك عن من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك ..

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به من الله من شيء ؟

فقاله جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأ على .

وبكى النجاشى

- قال النجاشى لجعفر بن أبى طالب :
- هل معك مما جاء به رسولك عن الله من شئ وتقرؤه على ؟
- قال جعفر : نعم .. وتلا عليه سورة مريم من أولها إلى قوله تعالى :
- " بسم الله الرحمن الرحيم " : قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا " [سورة مريم من ٢٩ : ٣٣]
- فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا اناجيلهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم .
- ثم قال النجاشى : إن هذا الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما .
- فلما كان الغد عاد ابن العاصى الى النجاشى ، فقال له : إن المسلمين يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما . فأرسل الى المسلمين . وسألهم عما يقولون فى عيسى بن مريم ..
- فلما دخلوا عليه قال جعفر بن أبى طالب :
- نقول الذى جاء به نبينا ، يقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التى القاها الى مريم العذراء البتول .
- فأخذ النجاشى عودا وخط به على الأرض وقال ، وقد بلغت به المسرة أكبر مبلغ :
- ليس بين ديننا ودينكم أكثر من هذا الخط .
- وكذلك تبين للنجاشى بعد سماع الفريقين أن هؤلاء المسلمين يعترفون بعيسى ، ويقرون النصرانية ، ويعبدون الله ، وقال للمسلمين :
- اذهبوا فانتم آمنون ..
- ورد هدية قريش . وأقام المسلمون بخير دار .. ووجدوا فى جوار النجاشى ، امنا ودعة

النجاشى " أصحمة " أكرم المسلمين

طابت الإقامة للمسلمين بأرض الحبشة ، ووجدوا فى ملكها النجاشى واسمه " أصحمة " لأن النجاشى يعتبر لقب لكل ملك من ملوك الحبشة ، وجدوا منه كل رعاية وعناية ، فأقاموا بها آمنين .

لم يرجع منهم أحد الى مكة إلا عثمان بن عفان ، فقد رجع إليها بعد قليل هو وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ أما بقية المهاجرين من أصحاب رسول الله ، فقد ظلوا مقيمين بالحبشة نحو أحد عشر عاما . ولم يرجعوا حين رجعوا منها الى مكة ، بل رجعوا الى المدينة بعد أن هاجر إليها النبى ، ﷺ ، وبعد أن تم بينه ﷺ وبين قريش صلح الحديبية فى السنة السابعة من الهجرة .

ولم يعيش المسلمون فى بلاد الحبشة بمعزل عن الناس ، ولا بمنأى عن الحوادث التى كانت تجرى هناك ، بل شاركوا الأحباش فى عواطفهم ، وفرحوا لفرحهم ، وحزنوا لحزنهم ، وبذلوا لهم كل عواطف الود والمجاملة ، وحين ثار على الحبشة بعض أعدائها رأى المسلمون من واجبهم أن ينضموا الى صفوف المجاهدين من الأحباش ، حتى انطفاة الثورة ، وانتصرت الحبشة على أعدائها ، فضربوا بذلك مثالا عاليا فى عرفان الجميل .

وقد كان النبى ﷺ وبين النجاشى مراسل ومكاتبات ، تدل على ما كان يحمل كل منهما لصاحبه من عواطف الود ، فقد كتب إليه رسول الله أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت فيمن هاجر الى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش ، فتتصر هناك ومات . فرأى رسول الله أن يضمها إليه لتكون فى رعايته وكنفه . وأن يجزيها على ما تحملت من مشاعر الهجرة فى سبيل الله . فزوجة النجاشى إياها ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار . فقدم بذلك مكرمة تدل على صدق مودته وإخلاصه . وحين استقر أمر الدعوة بالمدينة ، كتب إليه رسول الله أن يبعث إليه من بقى من أصحابه . فحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية الصخرى ، رسول رسول الله ﷺ .

النجاشى " أصحمة " أول من أسلم من الملوك

حين بعث النبى ﷺ رسائله الى الملوك والأمراء يدعوهم الى الإسلام ، كان النجاشى أول من أسلم ، وأكرم وفاده أصحاب النبى ﷺ ، وأحسن الرد على كتابه ، وبعث إليه وقد أمن أصحابه ، وحملهم الى رسول الله كل عواطف المودة والإخلاص .

وحين قدم وفد النجاشى على رسول الله ﷺ قام يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه :

- نحن نكفيك يا رسول الله

- فقال ﷺ : إنهم كانوا لأصحابى مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم .

ويوم مات النجاشى ، نعاه النبى ﷺ ، إلى أصحابه ، فقال لهم :

- مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيك " أصحمة " - وهو الإسم الحقيقى له . أما النجاشى فللقب لكل ملك من ملوك الحبشة - .

وخرج بهم الرسول ﷺ الى المصلى ، فصصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات ، فصلى عليه صلاة الغائب ، وصلى عليه المسلمون معه .

أما قریش ، فقد كان حزنها بالغاً حين عاد إليها الرسولان خائبين ، وحين علمت بما كان من أكرام النجاشى للمسلمين الذين هاجروا إلى بلاده ، فلم يكن يسرها قط أن ينال المسلمون خيراً أينما ذهبوا ، وكانت تريد أن تضيق عليهم رحاب الأرض ، حتى لا يجدوا مكاناً يلجأون إليه ، فيعودوا إليها مرغمين فتذيقهم من ألوان العذاب ما يشقى غليلها ، حتى يرجعوا كفاراً إلى دينها ، أو يقضى عليهم فيموتوا ، فيقضى بموتهم على دعوة الإسلام التى أقضت مضاجعهم وبلبلت أفكارهم .

لم ينخدع النجاشى

كانت قريش تريد أن تضيق على المسلمين رحاب الأرض . ومن أجل ذلك بذلت ما بذلت فى هدايا النجاشى ، وأصحابه من البطارقة ، وتكلفت ما تكلفت من المشقة والجهاد فى هذا السبيل ، وحرصت أشد الحرص على ألا يسمع النجاشى من المسلمين كلاما .

وبالغت فى إتخاف بطارقة النجاشى بالهدايا حتى يساعدها على تحقيق هذه الرغبة ، فلقد كانت قريش تعلم أن دعوة الإسلام دعوة حق ، وأن النجاشى حين يسمعها لن يتردد فى حماية المؤمنين بها ، لما عرف عنه من حب العدل ، ورعاية الحق ، ولكن قريشا كانت تدافع عن سيادتها على العرب ، وعن مصادر الثروة العظيمة التى تستمتع بها .

ومن أجل ارادت أن تموه الأمر على النجاشى ، وتخفى عليه حقيقة ما يدعو اليه محمد ﷺ وصحبه ، ولكن النجاشى كان أذكى من أن ينخدع بتمويه قريش .

وأراد الله بالمسلمين الخير حين دفعه الى الإستماع منهم ، وأراد بالكافرين الخزى ، والخيبة والندامة .

بسم الله الرحمن الرحيم " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون " صدق الله العظيم .

ياحبيب الرحمن ، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

هو فى الجسم بشر ، وهو نور فى البصيرة والبصر

هجرة المسلمين للحبشة .. كلها خير

إن هجرة المسلمين للحبشة ، كانت لها نتائج عظيمة . كانت كلها خيرا وبركة على الإسلام وأهله ، فقد أشاعت في مكة جوا من الخوف ، بلبل الأفكار ، وزلزل القلوب ، وترك رجال قريش حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ؟

لقد أحس الملأ في قريش أن الزمام أخذ يفلت منهم ، وأن هؤلاء الذين احتموا بأرض الحبشة من المسلمين ، سيكونون بلا شك دعاية حسنة لدعوة الإسلام ، فليس يبعد أن يتأثر الأحباش بدعوتهم ليسلموا معهم . فتقوم للإسلام دولة في بلاد الحبشة ، ويعود المسلمون أقوياء بهذه الدولة ، وقد يغيرون بها على قريش ، فيقضون عليها وعلى دينها وسلطانها .

فإن لم يكن هذا ، فسيجعل هؤلاء المهاجرون كل همهم أن يطعنوا في دين قريش ، وأن يعيبوا آلهتهم عند الأحباش كما كانوا يعيبونها في مكة ، فتتزعزع بذلك مكانة الأصنام في نفوس الأحباش ، وفي نفوس غيرهم من الأمم إلى تحيط بهم ، والتي تربطها بالعرب روابط المصلحة والجوار . فإن لم يكن هذا ولا ذاك ، فلا قل من أن يحاول هؤلاء أن يزعموا مكانة قريش في نفوس الأحباش ومن إليهم ، بما يشيعون عنها من إشاعات السوء ، فتتأثر بذلك تجارتها في تلك البلاد ، وربما أصابها من ذلك البوار والكساد .

وكانت هواجس الخوف تقلق بال قريش ، وتزعج أمنها واستقرارها ، حتى تركتها في اضطراب دائم وبلبلة مستمرة ، وأغلقت منافذ التفكير على ذوى الرأي فيها ، فكانوا يحاولون النيل من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والصد عن سبيله ، فينقلب عملهم خيرا له وشرأ عليهم ...

عمر بن الخطاب

لقد كانت نفوس قريش تغلى بالحقد على رسول الله ﷺ ، ولكن ماذا يستطيعون أن يفعلوا به ، وقد أحاطته بنو هاشم بسلطانها وقوتها ؟
وكما ساد مكة بعد هذه الهجرة جو رهيب من الخوف ، سادها كذلك جو كنيب من الوحشة ، فلقد كان عدد الذين هاجروا من الكثرة بحيث ترك مكانه فراغا هائلا ، فشعر بهذا الفراغ ذوو النفوس الحساسة ، والعواطف المرهفة ..
وكان من هؤلاء عمر بن الخطاب ، فقد شعر بهذا الفراغ شعورا قويا ، وفارقه المرح والإطلاق الذي عهد فيه ، فأصبح لا يغدو ولا يروح إلا منقبضا كنيبا .
وكان عمر بن الخطاب يومئذ رجلا في فتوة الرجولة ، بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، مفتول العضل ، قوى الشكيمة ، حاد الطبع ، سريع الغضب ، يمتاز بطوله الفارع وجرأته النادرة .
وكان كثير الأذى للمسلمين ، شديد البطش بهم ، والغلبة عليهم .
وخرج عمر يوما متوشحا بسيفه ، يريد رسول الله ﷺ ، ورهطا من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء .
ومع رسول الله ﷺ ، عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ، وعلى ، في رجال من المسلمين . فلقى نعيم بن عبد الله .. وكان أيضا يستخفى بإسلامه - فقال له :
أين تريد يا عمر ؟
فقال عمر : أريد محمدا .. هذا الصابي .. الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله !!

إسلام عمر

قال نعيم بن عبد الله ، لعمر بن الخطاب :

- تريد قتل محمد .. والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ !! أفلا ترجع الى أهل بيتك .. فتقيم أمرهم ؟ !!

قال عمر غاضبا : وأى أهل بيتى ؟

قال نعيم : ابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما !!

فرجع عمر عامدا إلى أخته وزوجها ، وعندهما (خباب) معه صحيفة فيها " سورة طه " يقرنهما إياها .. فلما سمعوا دقات عمر على الباب بشدة ، اختبأ (خباب) .. وخبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة .

ولما دخل عمر البيت ، قال :

- ماهذه الهمهمات التى سمعتها ؟

- قالوا : ماسمعت شيئا .. !!

- قال عمر : بلى .. والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمد على دينه .

وبطش بزواج أخته سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجهما .

فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وزوجها :

- نعم .. لقد أسلمنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .
فلما رأى عمر بن الخطاب ما فعله بأخته ، والدم ينزف من وجهها ، ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته :
- أريد أن أسمع ما كنتم تقولونه ...

عمر بن الخطاب .. و سورة " طه "

أصر عمر بن الخطاب على أن يسمع ويقرأ ما كانوا يستمعون إليه وطلب من أخته فاطمة بنت الخطاب أن تعطيه الصحيفة التي كانوا يقرأون منها .

فقالت فاطمة : أنا نخشاك عليها

قال عمر بن الخطاب : لا تخافى .. وحلف بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له :

- يا أخى ، إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا الطاهر .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها " سورة طه " فقرأها .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" طه - ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى . الرحمن على العرش استوى . له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى " .

وقال عمر بن الخطاب : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ..

فلما سمع ذلك " خباب " خرج إليه ، فقال له :

- يا عمر .. والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة أبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول ﷺ " اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب " . فإله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر " فدلنى يا خباب على محمد حتى أتيه فأسلم

فقال له خباب : هو فى بيتى عند الصفا معه نفر من أصحابه .

وخرج عمر بن الخطاب ذاهبا الى الرسول الحبيب المصطفى ﷺ .

آمنت بالله ورسوله .. قالها عمر بن الخطاب

- أخذ عمر بن الخطاب سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب .
- فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، وهو فزع ، فقال :
- يارسول الله .. هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف .
 - فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه .
 - فقال رسول الله ﷺ : " أذن له " .
 - فأذن له الرجل .
- ونهض إليه رسول الله ﷺ ، حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بمجمع رداءه ، ثم حبذه حبذة شديدة وقال ﷺ :
- ما جاء بك يا ابن الخطاب .. فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ؟
- فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله ، وما جاء من عند الله ..
- فكبر رسول الله ﷺ تكبيره عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ ، أن عمر قد أسلم ..
- فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكاتهم ، وقد عزوا في أنفسهم ، حين أسلم عمر مع إسلام حمزه .
- وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوهم .
- قال عمر بن الخطاب : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة . وذهبت إلى أبو جهل أخبره أني آمنت بالله ورسوله ﷺ .

طلب عمر بن الخطاب الجهر بالصلاة

كان إسلام عمر ضربة قاصمة لقريش ، فقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل ، وأبى إلا أن يعلن إسلامه على جمهرة الملا من قريش ؟ فاختار لذلك جميل بن معمر - وكان جميل أكثر رجال قريش نقلا للأحاديث وإذاعة الأخبار - فأعلن إليه إسلامه .

فلم يكن جميل يسمع النبأ حتى انطلق يذيعه في قريش ، ويدور به عليها في انديتها ويجالسها وهو يصيح :

- " يامعشر قريتي ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا .. !! " فيصيح من ورائه عمر : " كذبت .. ولكني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .. "

وقد أصيبت قريش بالذهول من هذه المفاجأة ، حتى خرج رجالها عن وعيهم . فاجتمعوا على عمر يقاتلونه ويقاثلهم ، وهم لا يدرون فيم يقاتلونه . وما زالوا يتقاتلون حتى عى عمر بن الخطاب ، أى تعب وضعف ، وقعد على الأرض مجهدا . وما زال القوم قائمين على رأس عمر حتى مر بهم أحد زعمانهم ، وهو العاص بن وائل السهمي ، فصرفهم عنه ، وهو يقول لهم .

- رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون منه ؟ .. أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا .. خلوا عن الرجل ..

فانصرفوا وهم يتحرقون من الغيظ ..

ولم يرض عمر بن الخطاب عن استخفاء المسلمين بصلاتهم في الشعاب ، وأبى إلا أن يذهبوا إلى الكعبة فيصلوا فيها جهارا تحت سمع القوم وبصرهم ، وكان لهذا المظهر الجريئ شأن أطار أحلام القوم ، وعصف بتفكيرهم عصفا شديدا ..

هل محمد ﷺ رسول الله حقا ؟

قال عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه :

- " إن إسلام عمر بن الخطاب كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة . ولقد كنا وما نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر قاتل قريشا ، حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه . وما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب ..

وبدا سادة قريش يتساءلون .. هل محمد ، ﷺ رسول الله حقا ..؟ وهل هذا الذى ينزل عليه وحى السماء ..؟ وهل هذا الذى جاء به هو دين الحق ؟ .. فإذا لم يكن هو دين الحق فأين دين الحق ؟ .. أهو دين قريش ؟ .. أم هو دين يهود ؟ .. أم هو دين النصارى ؟ .. أم هو دين المجوس ؟ ..؟

إن قريشا لتؤمن فى قرارة نفسها بأن دينها ليس دين الحق ، وإن كان مصدر سلطاتها ونعمتها ، وإنها لترى فى كل دين من هذه الأديان مغمزا يبعده عن الحق ، وإنها لترى دين محمد يدعو إلى الخير ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فإذا لم يكن هو دين الحق ، فلماذا يتابعه عليه هذا العدد الكثير من الناس ؟ ولماذا يتابعه هذا النفر من عليّة القوم من قريش ، وفيهم من عرف بالعقل الراجح ، والرأى السديد ، وفيهم من عرف بالتعصب لدين قريش ، والحرص على تقاليدها ، وفيهم من لا يتهم بالتفريط فى دينه أو التهاون فى كرامته ؟

فإذا كان حمزة قد أسلم حمية ابن أخيه محمد ﷺ أو تعصبا لعشيرته بنى هاشم ، فلماذا أسلم أبو بكر وهو من بنى تيم ؟ ولماذا أسلم عثمان بن عفان وهو من بنى أمية ؟ .. ولماذا أسلم عمر بن الخطاب وهو من بنى مخزوم ؟ .. وإن أمر عمر بن الخطاب لأشدّ أمورهم عجبا ..

سر القرآن الكريم

لقد كان عمر بن الخطاب أشد قريش عداوة لمحمد ﷺ ، ودينه ،
فما الذى بدله كذلك حتى غدا أشد قريش حماسة لهذا الدين ، وأكثرها جهرا
به وحرصا على ظهوره .. ؟
لاشك أن هؤلاء السادة ، حمزة ، وأبو بكر ، وعمر بن الخطاب لم
يؤمنوا إلا بعد ماتبين لهم الحق فى دين محمد ﷺ ، فليس من المعقول أن
يؤمنوا عن جهل وعماية ، كما يؤمن غيرهم من السوقة .
وهكذا أخذت قريش تدرس دين محمد ﷺ خفية ، وتتعرف إلى
مبادئه وأحكامه ، وتتسمع إليه من وراء حجاب وهو يتلو القرآن الكريم فى
صلاته ، فيرونها ما ينطوى عليه القرآن من عجيب النظم ، وسعة الإحاطة
، ودقة المعنى ، وحلاوة الأسلوب ، ويرونها ما ينطوى عليه هذا الدين من
مبادئ العدل والإحسان ، والخير والرحمة .
ولكن ، كيف يؤمنون بهذا الدين الذى يقضى على سيادتهم
وسلطانهم ، ويجعلهم تبعاً لمحمد بن عبد الله ، وليس محمد ﷺ أكثر القوم
مالاً ، ولا أعلاهم بيتاً ، ولا أشرفهم مكاناً ؟؟
أم كيف يؤمنون ويدعون هذا الشرف لبنى عبد مناف ، يتطاولون
به وحدهم على الناس قاطبة ؟ .. لا .. !! " لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى
بين يديه " سورة سبأ ٣١ .
روى ابن اسحاق : " أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام
، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى - حليف بنى زهرة -
خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى فى الليل فى بيته ،
فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه . فماذا
حدث ؟

والحسد .. كان مأساة قريش ..

كان أبو جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ، وأبو سفيان بن حرب ، يستمعون الى محمد ﷺ ، وهو يقرأ القرآن الكريم في مطلع الفجر ، وقد جمعهم الطريق عند عودتهم ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون الى محمد ﷺ ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض :

- لا تبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج ، حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال :
- أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟
- فقال : يا أبا ثعلبة ، وبالله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها .
- قال الأخنس : وأنا - والذي حلفت به - كذلك .
- ثم خرج حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال :
- يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟
- فقال : ماذا سمعت ؟ .. تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا .. حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء .. والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق ..

وغدت قريش بين اثنتين .. إما أن تعترف بأن محمد رسول الله ، وإما أن تمحو ذكره وفكرته في الوجود . وكان من المستحيل أن تعترف قريش بالأولى ، وأن تقدر على الثانية .

فقد كان الحسد لرسول الله وقومه يمنعها أن تعترف له بالنبوة ، وكان رجال من قريش يطمعون في هذه المنزلة ، ويرون أنفسهم أحق بها من محمد بن عبد الله ، ﷺ .

لماذا لم تؤمن قريش ؟

كان رجال من قريش يطمعون فى أن يكون كل واحد منهم رسولا ، ويستكثرونها على النبى محمد ﷺ ، ويقولون :

- لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .

وكانوا يقصدون مكة والطائف .. وكان رجال من قريش يعتقدون أن الرسول ﷺ لا ينبغي أن يكون إلا ملكا .

والواقع أن تقاليد الحكم عند قريش ، وتقاليدها فى الزعامة وعقيدتها فى النبوة ، كان لهما أكبر الأثر فى عدم اندفاعها الى الإيمان برسالة محمد ﷺ ، فقد كان للزعامة دور خطير فى المجتمع العربى حيث كان الزعماء يتمتعون بنفوذ واسع ، وسلطان مطلق ، يأمرهم فيطاعون ، وينهون فلا يخالفون . وكانت لهم الكلمة الفاصلة فى المشكلات والقضايا .

فلما أخذ النبى ﷺ ، يدعو بدعوته ، ويبلغ عن ربه - ولم يكن قد تجاوز من الشباب بكثير ، ولم يكن كذلك بارزا فى مجال الزعامة - عظم عليهم أن يكون مثله داعية يستجاب له ، ومرشدا يهتدى بهديه الناس ، ورسولا ينضوى الزعماء تحت لوائه ، وقالوا : لو كان مايدعو إليه محمد حقا لكانوا هم الأحق بأن ينتدبوا لهذه الدعوة ، وأن يكلفوا هذه المهمة ، لأنهم هم الزعماء والناس لهم تبع .

وكذلك المال وحده هو المقياس الذى يقيسون به أقدار الناس ، فبمقدار ما يكون لدى المرء من المال ، يكون له حظ من الشرف والسيادة ، وقد سيطرت عليهم هذه الفكرة حتى أصبحت عندهم فى منزلة العقيدة ، ومن أجل ذلك قال الوليد بن المغيرة :

- أينزل على محمد ، وأترك أنا - كبير قريش وسيدها - ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير سيد ثقيف ، ونحن عظيمى القريتين ؟ ..

هل المال .. أساس الحياة ؟

ليس المال إلا وسيلة من وسائل العيش فى الحياة الدنيا ، يناله الفاضل والمفضل ، والشريف والوضيع ، والمؤمن والكافر ، وليس تفاوت الناس فى الغنى والفقر إلا ضرورة إجتماعية يتم بها نظام المجتمع البشرى ، لىخدم الناس بعضهم بعضا ، ويعاون بعضهم بعضا ..

أما منازل الكرامة التى يمن الله بها على من يشاء من عباده ، فشئى فوق مستوى المال ، وفوق مستوى الطبقات التى تعارف الناس عليها فى مجتمعاتهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : " أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " [الزخرف : ٣١] .

ثم يمضى السياق فى تهوين شأن المال ، وفى تخطى نظرة الناس إليه ، فيبين لهم أن هذا المال الذى يتفاضلون به ، ويعتبرونه الشئ الأهم فى حياتهم ، والمقياس الذى يمايزون به فى أقدارهم ومنازلهم .. هو أهون شئ على الله .. ولولا مخافة أن يفتن الناس بالمال ومظاهره ، وأن تسود بينهم فى شأنه هذه النظرة الخاطئة .. لجعل الله المال حظا خالصا للكافرين به ، ولمنعهم بكل مايشتهون من زينة الحياة الدنيا .. فى المال والبنون ، وما الملك والسلطان ، وما كل ما فى هذه الحياة من مظاهر الثروة والجاه .. إلا متاع زائل ، وعرض فان .

بسم الله الرحمن الرحيم : " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم شققا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسرورا عليها يتكئون ، وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين " صدق الله العظيم

ماهى عقيدة قريش إزاء الرسول ﷺ ؟

كانت عقيدة قريش أن الرسول ﷺ ، إما أن يكون ملكا من الملائكة أو إما أن يكون بشرا يستطيع أن يفعل ما لا يفعل البشر ، وإما أن يكون ذا بسطة في الرزق ، وسعة من المال تغنيه عن الكد والسعى في سبيل العيش.

ولم يكن رسول الله ، ﷺ ، واحدا من هؤلاء ، بل كانوا يرونه بشرا يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، ويكدح ، ويكد في سبيل الرزق ، ويجري عليه ما يجري على البشر من المرض والصحة ، والضعف والقوة ، والفقر والغنى ، والجهل بالغيب ، والعجز عن جلب المنفعة لنفسه ، ودفع المضرة عنها .. إلى غير ذلك مما يشارك فيه سائر الناس . ثم هو فوق ذلك يصارحهم بهذه الحقائق ، ويقول لهم بلسان الوحي في غير تحرج.

بسم الله الرحمن الرحيم : " لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون " صدق الله العظيم . [سورة الأعراف : ١٨٨] .

ويقول سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : ولا أقول لكم : عندي خزان الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ " صدق الله العظيم . [سورة الأنعام : ٥٠] .

من أجل ذلك كبر عليهم أن يطيعوا بشرا مثلهم ، يأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون .. وحاولوا جهدهم أن يشككوا الناس في نبوته ، واستغلوا هذه العقيدة أعظم إستغلال . ولكن الله سبحانه وتعالى ، حفظ الرسول ﷺ ورسالته الخالدة

إن هذا إلا إفك افتراه

وإزداد هجوم قريش على الرسول ﷺ ، فجلعوا يشككون فيما أنزل عليه ، ويقولون : إنه ليس من عند الله ، إنما يستمليه محمد ممن يجالسهم من أهل الكتاب ، واتخذوا من جلوس النبي ﷺ إلى بعض نصارى الروم شاهدا على صحة ما يدعون .
وقد حكى الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك الإفك ، ورد عليهم ، بما أفحمهم وأخزاهم ، فقال تعالى في سورة " الفرقان " :

" بسم الله الرحمن الرحيم : وقال الذين كفروا ، إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا .. أساطير الأولين ، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل .. أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، إنه كان غفورا رحيمًا " الآيات ٤-٦ صدق الله العظيم .

ولم يكتفوا بهذا .. بل جعوا يتهمون بالدين الذى جاء به ﷺ ويعرضون مبادئه عرض المستهزئ الساخر ، يريدون بذلك أن يشككوا الناس فيه ، ويصرفوهم عنه ، قال تعالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم : وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا سحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب !! وانطلق الملائكة منهم .. أن امشوا واصبروا على الهتك ، إن هذا لشيء يراد ، ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق . أنزل عليه الذكر من بينا ؟ " صدق الله العظيم [سورة ص : ٨-٤] .

ولكن هذا السلاح لم يجد عندهم شيئا . وظل اتباع الرسول ﷺ يتكاثرون . وكان إسلام حمزة ، وعمر بن الخطاب من الأسباب التى شجعت الخاطئين والمترددين . فجعل الناس يدخلون فى دين الإسلام أفواجا . وبدأوا يفكرون فى سلاح آخر ، يقضون به على هذه الدعوة الخطيرة . فما هو ؟

خرافة " الغرائيق "

أقام المسلمون الذين هاجروا الى الحبشة ثلاثة أشهر ، أسلم أثنائها حمزة ، وعمر بن الخطاب . وعلم هؤلاء المهاجرون ما حدث على أثر إسلام عمر بن الخطاب ، من رجوع قريش عن إيذائها محمدا ﷺ ، ومن اتبعه ، فعاد كثير منهم ، فلما بلغوا مكة رأوا قريشا قد عادت أيذاء المسلمين ، وإلى الإمعان في عداوتهم اشد مما عرف هؤلاء المهاجرون من قبل ، فعاد الى الحبشة من عاد ، ودخل مكة من دخل مستخفيا أو استجار ببعض القبائل .

أى داع حفز مسلمي الحبشة الى العودة بعد ثلاثة أشهر من مقامهم بها ؟ . هنا يرد حديث " الغرائيق " الذى أورده ابن سعد فى طبقاته الكبرى ، والطبرى فى تاريخ الرسل والملوك ، كما أورده كثيرون من المفسرين المسلمين وكتاب السيرة ، والذين أخذ به جماعة المستشرقين الموتورين ، ووقفوا يؤيدونه طويلا ..

فما هى حكاية حديث " الغرائيق " ؟

وحديث الغرائيق أن محمدا ﷺ ، لما رأى تجنب قريش إياه ، واشتداد أذاهم لأصحابه تمنى فقال : ليته لا ينزل على شئ ينفرهم منى .

وقارب قومه ودنا منهم ، ودنوا منه فجلس يوما فى ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى : (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)

فقرأ بعد ذلك : تلك الغرائيق العلاء ، وإن شفاعتهن لترجى ، ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها ، وهناك سجد القوم جميعا لم يتخلف منهم أحد . . .

حديث الغرانيق .. مؤامرة

وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي ﷺ " الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترجى .. وقالوا :

- قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ، ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده . أما إذا جعلت لها نصيبا فنحن معك .

وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم . وفشا أمر ذلك في الناس حتى بلغ الحبشة ، فقال المسلمون بها " عشائرننا أحب إلينا ، وخرجوا راجعين . فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم ، فقالوا : ذكر آلهتهم بخير ، فتابعه المأ ، ثم ارتد عنها ، فعاد لشتم آلهتهم ، فعادوا له بالسر . ودخلوا مكة للقاء أهلهم .

وإنما ارتد محمد عن ذكر آلهة قريش بالخير ، في مختلف الروايات التي اثبتت هذا الخبر ، لأنه كبر عليه ﷺ قول قريش :

- أما إذا جعلت لآلهتنا نصيبا فنحن معك ..

وجلس الرسول ﷺ في بيته ، حتى إذا امسى اتاه جبريل ، فعرض النبي ﷺ سورة النجم ، فقال جبريل " أوجنتك بهاتين الكلمتين ؟ " مشيرا الى تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترجى . قال محمد ﷺ : قلت على الله مالم يقل .

ثم أوحى الله إليه : بسم الله الرحمن الرحيم : " وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفتري علينا غيره إذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذا لأنقذك ضعف الحياة ، وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا " [الإسراء : من ٧٥ : ٧٣] صدق الله العظيم .

وبذلك عاد ﷺ ، يذكر آلهة قريش بالشر ويسبهم ، وعادت قريش لمحاربته ، ومناواته ، وإيذاء أصحابه .

حديث الغرائق .. من وضع الزنادقة

إن حديث الغرائق وقف عنده كثير من المستشرقين طويلا ، وهو حديث ظاهر التهافت ينقصه قليل من التمهيد . وهو يعد حديث ينقض مالكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه .

ولم يتردد ابن اسحق حين سئل عنه في أنه قال :

- إنه من وضع الزنادقة .

ولكن بعض الذين أخذوا به حاولوا تسويفه فاستندوا الى الآيات : (وإن كادوا ليفتنونك ..) وإلى قوله تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله حكيم عليم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) . [سورة الحج آيتا ٥٢ و ٥٣] .

ويفسر بعضهم كلمة " تمنى " في الآية بمعنى قرأ ، ويفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة ، ويرى سير " وليم موير " أن حديث الغرائق صحيح ، ذلك أن المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة لم يك قد مضى على هجرتهم اليها غير ثلاثة أشهر أجارهم النجاشي أثناءها ، وأحسن جوارهم . فلو لم يكن قد ترامي اليهم خبر الصلح بين محمد ﷺ وقريش ، لما دفعهم دافع الى العودة حرصا على الإتصال بأهلهم وعشائهم .

وأنى يكون صلح بين محمد ﷺ إذا لم يسع محمد ﷺ إليه ، وقد كان في مكة أقل نفرا وأضعف قوة ، وقد كان أصحابه أعجز من أن يمنعوا أنفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم إياهم !!

دحض حجج المستشرق " موير "

إن الحجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرانيق ، هي حجج واهية لا تقوم أمام التمهيص . ونبدأ بدفع حجة المستشرق (موير) . فالمسلمون الذين عادوا من الحبشة إنما دفعهم الى العودة إلى مكة سببان

أولهما : أن عمر بن الخطاب قد أسلم بعد هجرتهم بقليل .. لم يخف إسلامه ولم يستتر . بل دأب على قتال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه . هنالك أيقنت قريش أن ما تنال به محمدا ﷺ ، وأصحابه من الأذى يوشك أن يثير حربا أهلية لايعرف أحد مداها ولا على من تدور الدوائر . فقد أسلم من قبائل قريش وبيوتاتها رجال ثور لقتل أى واحد منهم قبيلته وإن كانت على غير دينه . فلا مفر إذا من الإلتجاء فى محاربة محمد ﷺ إلى وسيلة لا يترتب عليها هذا الخطر . وإلى أن تتفق قريش على هذه الوسيلة ، هادنت المسلمين فلم تنل أحدا منهم بأذى . وهذا هو ما اتصل بالمهاجرين إلى الحبشة . ودعاهم الى التفكير فى العودة إلى مكة .

ثانيهما : والسبب الثانى الذى ثبت عزمهم ، ذلك أن الحبشة شبت بها يومئذ ثورة على النجاشى ، ووقف المسلمون إلى جانب النجاشى ضد خصومه .

إذن ليس الصلح الذى يشير إليه المستشرق (موير) ، هو الذى دعا المسلمين الى العودة من بلاد الحبشة ، إنما دعاهم هذه الهدنة التى حدثت على أثر إسلام عمر ، وحماسته الشديدة فى تأييد دين الله . فتأييد (حديث الغرانيق) إذا بحجة الصلح تأييد غير صحيح ، وغير منطقي ، وغير سليم.

إحتجاج ضعيف وسقيم

أما إحتجاج المحتجين من كتاب السيرة والمفسرين بالآيات :

" وإن كادوا ليفتنونك " و " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنية .. " فهو حجة أشد ضعفا من حجة السير (موير) .

ويكفى أن نذكر فى الآيات الأولى قوله تعالى :

" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا " لنرى أنه إن كان الشيطان قد ألقى فى أمنية الرسول ﷺ ، حتى لقد كان يركن إليهم شيئا قليلا ، فقد ثبتته الله فلم يفعل ، ولو أنه فعل لأذاقه الله ضعف الحياة ، وضعف الممات .

وإذا فالإحتجاج بهذه الآيات إحتجاج مقلوب ، نقضه الغرائيق تجرى بأن محمدا ﷺ ركن الى قریش بالفعل ، والآيات هنا تفيد أن الله ثبتته فلم يفعل . فإذا ذكرت كذلك أن كتب التفسير وأسباب النزول جعلت لهذه الآيات موضعا غير مسألة الغرائيق ، رأيت أن الإحتجاج بها فى مسألة تتنافى مع عصمة الرسل فى تبليغ رسالاتهم ، وتتنافى مع تاريخ محمد ﷺ ، كله . إحتجاج متهافت ، وضعيف وسقيم .

أما الآيات (وما أرسلنا من قبلك من رسول ..) فلا صلة لها بحديث الغرائيق البتة ، فضلا عن ذكرها أن الله ينسخ ما يلقى الشيطان ويجعله فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، ويحكم الله آياته ، والله حكيم عليم .

أما فحص الغرائيق . فحفا علميا .. والذى يثبت عدم صحتها .
فنتناوله بالتفصيل

إن تتبعون إلا الظن

إن أول ما يدل على عدم صحة حديث الغرائيق ، هو تعدد الروايات فيها ، فقد رويت على أنها : تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتهن لترجى ، ورواها بعضهم " الغرائقة العلا إن شفاعتهن لترجى " وروى آخرون : " إن شفاعتهن لترجى " دون ذكر الغرائقة أو الغرائيق . وفى رواية رابعة : " وإنها لهى الغرائيق العلا " . وفى رواية خامسة : " وإنهن لهن الغرائيق العلا ، وإن شفاعتهن لهى التى لترجى " .

وقد وردت فى بعض كتب الحديث روايات أخرى غير هذه الروايات الخمس . وهذا التعدد فى الروايات يدل على أن الحديث موضوع ، وأنه من وضع الزنادقة ، كما قال ابن إسحق ، وأن الغرض منه التشكيك فى صدق تبليغ محمد ﷺ ، رسالات ربه .

ودليل آخر وأقطع عن عدم صحة حديث الغرائيق ، ذلك سياق سورة النجم ، وعدم احتمال له لمسألة الغرائيق ، فالسياق يجرى بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم " لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى . الكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى . إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) . صدق الله العظيم [سورة النجم من ١٨- ٢٣] .

" الغرنيق " إسم طائر مائى

إن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان . فكيف يحتمل أن يجرى السياق بما يأتى :

" أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى . تلك الغرانيق العلا . إن شفاعتهن ترجى . الكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى ، إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان "

إن فى هذا السياق من الفساد والإضطراب والتناقض ، ومن مدح اللات والعزى ومناة الثالثة وذكرها فى أربع آيات متعاقبة ، مالا يسلم به عقل ، ولا يقول به إنسان ، ولا تبقى معه شبهة فى أن حديث الغرانيق مفترى وضعه الزنادقة لغاياتهم ، وصدقه من يسبقون كل غريب ، ومن تقبل عقولهم مالا يسبغ العقل المنطقى .

وحجة أخرى ساقها الأستاذ محمد عبده حين كتب بفند قصة الغرانيق ، تلك أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد فى نظمهم ولا فى خطبهم ، ولا ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم .

وإنما ورد " الغرنوق " و " الغرنيق " على أنه اسم لطائر مائى اسود أو أبيض ، والشاب الأبيض الجميل . ولا شئ من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب ..

لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى شمالى

بقيت حجة قاطعة دامغة ، نسوقها للدلالة على استحالة قصة " الغرائيق " هذه من حياة محمد ﷺ نفسه ، فهو منذ طفولته وصباه وشبابه ، لم يعرف عنه الكذب قط ، حتى سمي الأمين ، ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره . كان صدقه أمرا مسلما به عند الناس جميعا . حتى لقد سأل قريشا يوما بعد بعثته : " أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا يسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوننى ؟ فكان جوابهم : نعم .. !! أنلس عندنا غير منهم وما جربنا عليك كذبا قط .

فالرجل الذى عرف بالصدق فى صلاته بالناس منذ نعومة أظافره الى كهولته ، كيف يصدق انسان أنه يقول على ربه مالم يقل ، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه ..

هذا أمر مستحيل ، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التى تعرف الصلابة فى الحق ، وكيف ترى يقول محمد ﷺ

لو وضعت قرىش الشمس فى يمينه ، والقمر فى شماله على أن يترك هذا الأمر أو يموت دونه .

ثم يقول على الله مالم يوح اليه ، ويقول له لينقض به أساس الدين الذى بعثه الله به هدى وبشرى للعالمين ﷺ

الغرائيق .. حديث خرافة

ونتساءل .. متى رجع رسول الله ﷺ إلى قريش ليمدح آلهم ؟ بعد عشر سنوات أو نحوها من بعثه ، وبعد أن احتل هو وأصحابه في سبيل الرسالة من ألوان الأذى ، وصنوف التضحية ما احتمل ، وبعد أن أعز الله الإسلام بحمزه وعمره ، وبعد أن بدأ المسلمون يصبحون قوة بمكة ، ويمتد خبرهم إلى بلاد العرب كلها وإلى الحبشة وإلى مختلف نواحي العالم ؟ !!

إن حديث الغرائيق .. حديث خرافة ، وأكذوبة مفضوحة ، ولقد شعر الذين اخترعوها من الزنادقة ، والموتورين ، أنه تم فضحها بسهولة ، فأرادوا سترها بقولهم :

- إن محمدا ما كاد يسمع كلام قريش إذ جعل لآلهم نصيبا من الشفاعة حتى كبر عليه ذلك .. وحتى رجع إلى الله تائبا أول ما أمسى ببيته وجاءه جبريل فيه . لكن هذا الستر أحرى أن يفضحها .

فما دام الأمر قد كبر على محمد ﷺ منذ سمع مقالة قريش ، فما كان أحرأه أن يراجع الوحي لساعته .. وما كان أحرأه أن يجرى الوحي الصواب على لسانه ؟ .

وإذا فلا أصل لمسألة الغرائيق إلا الوضع والإختراع . قامت بهما طائفة من الزنادقة ، والموتورين الذين أخذوا أنفسهم بالكيد للإسلام ، ولكن الله خير حافظا .

قد أسمعتهم ما يكرهون

رأت قريش أن كل ما استعملته من وسائلها مع النبي ﷺ وصحبه ، في المسالمة والإغراء ، ومن السخرية والإستهزاء ، ومن الإرهاب والتعذيب . ومن الرعاية والتهويل .. لم يجدها نفعا ، ولم يصرف الناس عن دعوة الإسلام ، ولم يحل بينها وبين الظهور والإنتشار . ورأت أن دخول العناصر القوية فيها قد زادها ظهورا وانتشارا ، فقد عز المسلمون منذ أسلم حمزه بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب ، واستطاعوا أن يستعلنوا بصلاتهم بعد أن كانوا يسرون ويستخفون بها ، وأن يصلوا عيانا في حرم الكعبة بعد أن كانوا يستخفون في شعاب الجبال ، واستطاعوا كذلك أن يجهروا بالقرآن الكريم على مسمع من قريش بعد أن كانوا يخافتون به .

واجتمع أصحاب الرسول ﷺ ، يوما فقالوا : والله ما سمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله ، ﷺ ، فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا ؟ فقال عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه : أنا

فقالوا : نخشى عليك منهم ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم .

فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني منهم .

ثم إنه قام عند المقام في الكعبة وقت طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم . فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم - رافعا صوته - " الرحمن .. علم القرآن .. " واستمر في قراءتها .

فقالوا : ما بال ابن أم عبد ؟ فقال بعضهم : يتلو ما جاء به محمد !!

ثم قاموا إليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها ، حتى قرأ غالب السورة ، ثم إنصرف إلى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه . فقال له أصحابه : هذا الذي خشينا عليك منه . فقال : والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ! ولو شئتم لآتييتهم بمثلها غدا . قالوا : لا ، قد أسمعتهم ما يكرهون !!

سلاح المقاطعة

وحارت قريش في أمرها ، وظلت تغلى وتثور أمام هذه الحجج الدامغة والبراهين التي لا قبل لها بها ، والتي لا تستطيع لها ردا ولا دفعا . وكل ما كانت تستطيع أن تفعل أن تصب غضبها ونقمتها على ضعفاء المسلمين ، حتى استنفذت كل مافي طوقها من وسائل الإرهاب والتخويف ، والقتل ، ولم تبلغ شيئا مما كانت تريد . فلجأت إلى سلاح آخر ، خطير .. ماهو ؟ ..

إنه سلاح " المقاطعة " .. ما معنى ذلك ؟

إن قريش لما رأت أن أصحاب رسول الله ﷺ ، قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا ، وأن النجاشي قد منع من لجا إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ ، وأصحابه . وجعل الإسلام يفسد .. وينتشر بين القبائل اجتمعوا وانتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، على أن ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم .. أى لا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم . ولا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم . فلما فعلت قريش ذلك ، انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه " فى شعبه " وهو شق فى الجبل يشبه المخبأ .

واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب - عبد العزى بن عبد المطلب - إلى قريش فظاھروهم ، أى ناصرهم على بنى هاشم ، وقد لعنه الله سبحانه وتعالى . " تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد " صدق الله العظيم .

حصار قريش لبنى هاشم

وتم حصار بنى هاشم وبنى المطلب ، بنسائهم وأطفالهم فى الشعب . لايتصل بهم أحد من القوم ولا يتصلون بأحد ، ولا يصل إليهم طعام ولا شراب ولاشئ .. وأحكمت قريش عليهم الحصار .

فنصبت عليهم العيون والإرصاد ، وبالفوا فى قسوتهم عليهم حتى قطعوا عنهم الأسواق ، فلم يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا ، إلا بادروهم إليه فاشتروه بأضعاف ثمنه ، كى لا يصل إلى أيديهم منه شئ .

وكان أبو لهب وأبو جهل هما زعيمى هذه الحركة ، فأما أبو لهب فكان يحرض التجار على أن يغالوا فى الثمن حتى يعجزوهم عن الشراء ، وكان يقول كلما قدمت العير مكة :

- يامعشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم حالى ووفاء ذمتى .

فيزيدون عليهم فى السلعة أضعافا مضاعفة ، حتى يرجع الرجل منهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع أى يصرخون . وليس فى يده شئ .

ثم يغدو التجار على أبى لهب فيربحهم ويضعف لهم . وأما أبو جهل فكان دائم اليقظة والنشاط لإحكام الحصار ، حتى يؤدى إلى غايته التى قدرتها قريش ، وهى أن يتخلى بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله فيسلموه إليهم فيقتلوه ، أو يتخلى رسول الله ﷺ عن دعوته ، فيقضى عليها .

وفشل حصار قريش

واستمرت مقاطعة قريش نحو ثلاث سنين ، وبنو هاشم وبنو المطلب محصورون فى الشعب حتى اشتد بهم البلاء وبلغ منهم التعب ، حتى أكلوا ورق الشجر ، وسمع صراخ أطفالهم من وراء الشعب .

وذاع نبا هذه القطيعة فى الناس ، وتسامع بها العرب الذين كانوا يقدمون مكة فى موسم الحج ، فأخذوا يتساءلون عن خبر هذه الدعوة التى أخرجت قريشا على وقارها ، وألجأتها الى ما تفرض هذه العقوبة الشنيعة على بنى أبيها ، وأن تقسو عليهم هذه القسوة التى لم يسمع بمثلها فى الغرب قط !!

وأدرك العرب أنه لابد أن تكون هذه الدعوة شيئا خطيرا ، فجعلوا يتسقطون ، ويتقصون أخبارها وأبناءها ، ويتعرفون حقيقتها وأغراضها فكان ذلك سببا فى ذبوع أمرها بين العرب . وانعكس التقدير الذى قدرته قريش ، فانتشر ما أرادت أن تخفيه من أمر هذه الدعوة . وخرجت أبناؤها عن نطاق مكة ، وتسامعت بها قبائل العرب البادية والحاضرة .

ورأت قريش أنها لم تصل إلى غايتها من هذه المقاطعة ، وأن بنى هاشم وبنى المطلب قد صبروا للمحنة كراما ، واحتملوا أعزة شما . وكأنما أحست قريش أن العرب قد استنكروا منها هذه البشاعة ، والشناعة ، فخشيت أن ينال ذلك من كرامتها وسمعتها بين العرب .

وشعر رجال من قريش بسوء ما صنعت قريش ، فجعلوا يتداركون الأحر سبرا ، ويمدون هؤلاء المحصورين فى الشعب بما يستطيعون من الطعام .

وتفكك حصار قريش

اشتد الحصار الذي فرضته قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكان من الذين يمدون هؤلاء المحصورين فى الشعب هشام بن عمرو العامري ، فكان يأتى بالبعير ، ويحملها بالطعام ، ثم يخرج بها ليلا حتى يصل إلى الشعب ، ويدفعها إلى الشعب بما عليها من الطعام ، حتى علمت به قريش . فأغلظوا له القول ، وهموا بقتله . فقال لهم أبو سفيان ابن حرب :

- دعوه .. !! .. رجل وصل أهله ورحمه .. أما أنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن منا ..

وممن كان يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام ، فلقبه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا ، ويريد به عمته خديجة زوج النبي ﷺ ، وكانت معه فى الشعب . فقال له أبو جهل :

- تذهب بالطعام لبنى هاشم ؟ .. والله لا تذهب أنت ولا طعامك حتى أفضحك بمكة ..

فحضرهما أبو البختري بن هشام فقال لأبى جهل :

- مالك وماله ؟ .. طعام كان لعمته عنده ، أفتمنعه أن يأتيتها به ؟ خل سبيل الرجل ..

فأبى أبو جهل ، حتى تشاتما . ونال أحدهما من الآخر . فأخذ أبو البختري ، عظمة من عظام الفك كانت على الأرض لبعير ، فضرب بها أبا جهل ، فشجه ، وداس رأسه بقدمه .. حتى كادت تزهرق روحه ..

الأرواح التى تسكن الأصنام

وياخذ الإنسان العجب .. كيف أقفلت قلوب العرب دون تصور الحياة الأخرى ، والخبراء فيها ، فى حين تدور رحى المعركة بين الخير والشر فى هذا العالم الإنسانى منذ الأزل ، لم تعرف يوما هوادة ولا اطمأنت الى سكنية

كان المصريون القدماء ، قبل ألوف السنين من بعث محمد ﷺ يزودون الميت زاد الدار الآخرة ، ويضعون فى أكفانه كتاب الموتى بما فيه من أغنيات ونذر ، ويصدرون على معابدهم صدر الميزان والحساب والتوبة والعذاب .

وكان الهنود يصورون رضا النفس الراضية فى " النرفانا " وتناسخ روح المسئى فى صور من الخلق تتعذب أثناءها الوان السنين وملايينها ، حتى تلهم الحق فتظهر وهو مرة أخرى الى الخير طمعا فى بلوغ " النرفانا " .

ولم يكن مجوس فارس لينكروا معركة الخير والشر وآلهة الظلمة والنور .

والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله وغضبه ، أفلم يبلغ العرب شئ من ذلك كله ، وقد كانوا أهل تجارة يتصلون فى رحلاتهم وأسفارهم بأهل هذه النحل جميعا ؟ فكيف لا يبلغهم ؟ وكيف لا تكون لهم صورة خاصة منه ، وهم أهل بادية أشد اتصالا باللاتهية ، وأقرب الى تصور ما يشتمل عليه هذا الوجود من أرواح تتبدى فى لهب الظهيرة وفى غسق الليل ؟ أرواح خيرة وأخرى شريره !!

أرواح هى التى يحسبونها تسكن جوف الأصنام التى تقربهم الى الله زلفى !!

فكرة الغيب عند العرب

لاريب أنه كانت عند العرب فكرة من هذا الغيب المحيط بهم ، لكنهم وهم أهل تجارة كانت نفوسهم أكثر للواقع المحسوس قدرا ، ولأنهم أهل لهو وخمر ، كانوا أشد لجزاء الآخرة إنكارا ، فكانوا يحسبون ما يلقاه الإنسان في هذه الحياة من خير أو شر جزاء عمله ، ولا جزاء عنه بعد الحياة .

ولذلك كان أكثر ما نزل من الوحي نذيرا وبشيرا قد نزل بمكة . في أول الرسالة ، حرصا على الخلاص لأرواح هؤلاء الذين بعث محمد ﷺ ، بينهم ، ولقد كان جديرا بأن ينبههم إلى ما هم فيه من غي وضلالة ، جديرا بأن يرتفع بهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد القهار .

في سبيل هذا الخلاص الروحي لأهله وللناس احتمل محمد ﷺ ومن آمن به من ألوان الأذى وصور التضحية ، ومن آلام النفس والجسد ، ومن الإرتحال عن الوطن ، ومن عداوة الأهل ، وكأنما كان محمد ﷺ يزداد لأهله حبا ، وعلى خلاصهم حرصا . كلما ازدادوا إيذاء له .

ويوم البعث والحساب كان آية الآيات التي يجب أن يتنبهوا لها ، لتنفذهم من شر وثنييتهم ومن التورط في آثامهم . لذلك لم يكن الوحي في السنوات الأولى يفتقر عن انذارهم بها ، وتفتيح عيونهم عليها ، مع أنهم كانوا يمعنون في إنكارها وفي الأروار والبعد عنها ، مما دعاهم إلى إشعال هذه الحروب الضروس التي لم تهدأ بينهم وبين محمد ﷺ . حتى تم للإسلام النصر ، وحتى أظهر الله دينه على الدين كله

نقض صحيفة المقاطعة

اطلع الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ، على أمر صحيفة المقاطعة التى وقع عليها سادة قريش من بنى هاشم وبنى المطلب . وأن " الأرضة " أى العتة ، قد أكلت مافيهما من جور وظلم ، وبقي ما كان فيها من ذكر الله عز وجل .

فذكر ذلك رسول الله ﷺ لكفار قريش :

- إن ابن أخى قد أخبرنى - ولم يكذبنى قط - أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من جور وظلم ، وقطيعة رحم ، وبقي فيها كل ما ذكر به الله ، فإن كان ابن أخى صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحيتوه .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا الى الصحيفة ففتحوها ، فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، فسقط فى أيديهم ، ونكسوا على رؤوسهم ، - أى ندموا على ما سلموا به ، ورجعوا فيما وافقوا عليه -

فقال ابو طالب : اللهم انصرنا ممن ظلمنا ، وقطع ارحامنا ، واستحل ما يحرم عليه منا ..

ثم انصرفوا الى الشعب ..

وحز هذا المنظر الأليم فى نفوس ذوى المروءة من قريش ، وعز عليهم أن يعود إخوتهم الى الشعب مخذولين . وأن يظلوا فى هذا الحصار حتى يهلكوا جوعاً .. وتمثلت لهم صورة هؤلاء الإخوة وهم يقاسون عذاب الحرمان وعذاب القطيعة ، وأطفالهم يتصايحونه من حولهم ينشدون الغوث والنجدة ، فلا يستطيعون لهم غوثاً ، ولا يجدون منهم منجداً ولا مغيثاً . فجعلوا يتلاومون على ما صنعوا بهم ، ويتآمرون على نقض هذه الصحيفة الظالمة ..

فك الحصار عن بنى هاشم والمطلب

قامت طائفة من قريش فى نقض صحيفة المقاطعة التى أكلتها الأرضة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وزهير بن أبى أمية المخزومي ، والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأبو البختري بن هشام ، ورفعوا الأسود . فمشى بن عمرو إلى زهير بن أمية فقال :

- أَرْضِيَتْ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وَتَتَكَبَّرَ النِّسَاءُ ، وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ .. وَهُمْ مُحْصَرُونَ فِي الشَّعْبِ ؟
- وَيْحَكَ يَا هِشَامَ .. مَاذَا أَصْنَعُ ؟ .. فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ . وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرٌ لَقُمْتُ فِي نَقْضِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ..

فَقَالَ هِشَامُ : فَأَنَا مَعَكَ ..

فَقَالَ : اطْلُبْ لَنَا ثَالِثًا

- وَمَشِينَا جَمِيعًا إِلَى الْمَطْعَمِ بَنَ عَدَى فَقَالَا لَهُ :
- أَرْضِيَتْ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفَافٍ وَأَنْتَ شَاهِدٌ ؟
- فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا وَاحِدٌ .
- إِنَّا مَعَكَ

- فَقَالَ : نَحْتَاجُ إِلَى رَابِعٍ .

- فَذَهَبُوا إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ فَقَالَ : نَحْتَاجُ إِلَى خَامِسٍ .
- فَذَهَبُوا إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ . فَفَعَدُوا لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ وَتَعَاهَدُوا وَتَعَاهَدُوا عَلَى نَقْضِ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ . وَأَخْرَجَ بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الشَّعْبِ . وَقَالَ لَهُمْ زَهِيرٌ : أَنَا أَبْذُوكُمْ وَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدُوا إِلَى أُنْدِيَتِهِمْ .. وَجَاءَ زَهِيرٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ :
- يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، أَنَا أَكُلُ الطَّعَامَ ، وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ ، وَبَنُو هَاشِمٍ وَالْمَطْلُبُ . هَلْكَى .. لَا يَبْتَاعُونَ وَلَا يَبْتَاعُ مِنْهُمْ ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تَشُقَّ هَذِهِ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةُ ..

الهدنة المؤقتة

وعندما سمع القوم عند الكعبة قولة زهير بن أمية :

- والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ..
- فقال له ابو جهل : كذبت .. والله لا تشق
- فقال زمعه بن الأسود : أنت والله أكذب ..؟ مارضينا كتابتها حين كتبت
- فقال ابو البختري : صدق زمعة .
- فقال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك . نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ..

فقال هشام بن عمرو مثل ذلك ؟ فقال أبو جهل ، هذا امر قد قضى بليل .

واضطرب الأمر بينهم وكثر القيل والقال ، فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشققها .

وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ، فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا الى بنى هاشم والمطلب ، فأمرهم بالخروج الى مساكنهم . ففعلوا . وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من النبوة . الموافق ٦٢١ ميلادية .

وكانت هذه الفترة ، فترة عسيرة شاقة . لاقى فيها رسول الله ﷺ وقومه من الصعاب مالا يوصف . وتوقفت فيها دعوة الإسلام أو كادت ، فقد كان المحصورون في الشعب لا يستطيعون الخروج منه إلا في مواسم الحج . وكان رسول الله ﷺ إذا حضر الموسم وتعرض للقبائل يدعوها الى الإسلام ، جعلت قريش تكذبه وتحذر الناس منه ، حتى لا يجتمعوا عليه ، ولا يستمعوا لقوله .

وكانما شعرت قريش بشئ من الخجل من سوء ما فعلت ببني هاشم ، وبني المطلب ، فخففت من غلوائها شيئا ، وسكتت على اضطهاد الرسول ، ﷺ ، وصحبه فترة من الزمن . فكانت هذه الفترة أهدأ فترة قضاها المسلمون ، منذ أخذت قريش في اضطهادهم وفتنتهم ، وليس معنى هذا أن السلام قد ساد بينهم وبين قريش ، ولكنها كانت هدنة مؤقتة ، جعل كل من الفريقين ينظر ما عدوه فاعل .

كلمة واحدة .. تملكون بها العرب

عاد محمد ﷺ ومن معه من الشعب بعد تمزيق صحيفة المقاطعة . وجعل من جديد يذيع دعوته في مكة وفي القبائل التي عجز اليها في الأشهر الحرم . ومع ما ذاع من أمر محمد ﷺ بين قبائل العرب جميعا ، وما كان من كثرة الذين اتبعوه .

لقد ظل لايسلم أصحابه من أذى قريش ، ولا يستطيع هو لهم منعا . ولم تمض الا شهور على نقض " صحيفة المقاطعة " حتى فجأت محمدا ﷺ فاجعتان اهتزت لهما نفسه ، هما موت ابي طالب وخديجة بعد ذلك .

وكان ابو طالب يومئذ قد نيف على الثمانين . فلما مرض وبلغ قريشا أنه قارب على الموت ، خشيت ما يكون بينها وبين محمد ﷺ وأصحابه من بعد ، وفيهم حمزة وعمر المعروفان بشدتهم وبطشهما . فمشى اشرافها الى ابي طالب وقالوا له :

- يا أبا طالب ، أنت منا حيث قد علمت ، وحضرك ما ترى وتخوفنا عليك . وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك ، فادعه فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه . وليدعنا وديننا او ندعه ودينه .

وجاء محمد ﷺ ، والقوم في حضرة عمه فلما عرف ما جاءوا فيه : قال :

- نعم كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ...

تقولون لا إله إلا الله

قال أبو جهل لمحمد ﷺ ، عندما قال لهم وهم مجتمعون عند عمه أبي طالب .. وهو على فراش المرض .. إنه يطلب كلمة واحدة .

فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات

قال محمد ﷺ : تقولون لا إله إلا الله . وتخلعون ما تعبدون من دونه .

قال بعضهم : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا .. ثم قال بعضهم لبعض : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، وانطلقوا . وتوفي أبو طالب والأمر بين محمد وقريش أشد مما كان ..

ومن بعد أبي طالب .. توفيت خديجة . وتسمى هذا العام .. عام الحزن العاشر من النبوة ٦٢١ ميلادية . وفي هذا العام أيضا الغيت صحيفة المقاطعة وقد أكلتها الأرضة أو العتة . ماعدا " باسمك اللهم " . وانتهاء مقاطعة قريش ، وعودة بعض المهاجرين من الحبشة ، ومن بينهم رقية وزوجها عثمان بن عفان بعد وفاة والدتها خديجة . وفي ذلك العام أيضا حضر وفد من نصارى نجران وإعلان إسلامهم .

وذهب النبي ﷺ الى الطائف ليستعين ببني ثقيف فأساءوا إليه .

ماتت خديجة . خديجة التي كانت سند محمد ﷺ ، بما توليه من حبها ، وبرها ، ومن رقة نفسها ، وطهارة قلبها وقوة إيمانها . خديجة التي كانت تهون عليه كل شدة ، وتزيل عن نفسه كل خشية ، والتي كانت تلك رحمة ، يرى في عينيها وعلى ثغرها من معاني الإيمان به ، ما يزيده إيمانا بنفسه .

عام الحزن

قال محمد بن اسحق : ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد .

وقال البخارى بسنده عن ابى هريرة قال : أتى جبريل الى رسول الله ﷺ

فقال : يا رسول الله .. هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام أو شراب ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب .

لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوما من الدهر ، فلم تصخب عليه يوما ولا أدته أبدا .

وعن خديجة يقول النبي ﷺ : " ما أبدلني الله خيرا منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني ، إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء "

لهذا أحب النبي ﷺ أحب خديجة ووفى لها . ولم تمح ذكراها من نفسه قط من أعقبتها من الزوجات الفتيات . ذلك وفاء قلب وروح ، وليست لذات حسن ولا ذكرى متاع جميل .

وتوفى ابو طالب الذي كان لمحمد ﷺ ، حمى وملاذا من خصومة وأعدائه . أى أثر تركت هاتان الفاجعتان الأليمتان في نفس محمد عليه السلام !! إنهما لجديرتان بأن تتركأ أقوى النفوس كليمة مضنعة ، يدس إليها اليأس سموم الضعف ، ويدفع إليها الأسى والحزن من لواذع الهم المبرح ما يجعلها تنهد أمامهما ولا تفكر فى شئ سواهما ..

موت خديجة

كان موت خديجة مصيبة كبرى . فقد غدا البيت بموتها خلاء موحشا لا أنيس به ولا سمير .. نعم ، كان فى البيت ابتناه فاطمة وأم كلثوم ، وكان فيه مولاه زيد بن حارثه ، وكان فيه حاضنته أم أيمن ، وبعض الأهل والعشيرة ، ولكن ماذا عسى أن يغنى هؤلاء عن رجل قد حمل على كاهله أثقل مهمة يستطيع أن ينهض بها بشر ؟

وماذا عسى أن يغنى هؤلاء عن رجل أحاط به الأعداء من جميع نواحيه ، ويريدون أن يحطموه قبل أن يؤدى هذه المهمة الثقيلة ، ويبلغ هذه الرسالة الجليلة ؟

ماذا تغنى عنه فتاتان فى سن الغضارة ، أين منه ذلك القلب الكبير ، الذى كان يشكو إليه ، فيزيل عنه آلام الشكوى ، ويركن إليه فيواسيه ؟ أين منه ذلك العقل الحصيف ، الذى كان له وزير صدق فى الشدة والرخاء ، وعونا يستعين به على البأساء والضراء ..؟ أين منه تلك النفس المخلصة التى حملت عنه أثقاله ، وشاركته آلامه وآماله ؟

أين منه خديجة ، تلك الزوج الوفية ، التى آمنت به حين كفر الناس ، وصدقته حين كذب الناس ، وأغنته بمالها ، وأزرت برأيها وعزيمتها ؟ أين من ذلك الجو الأنيس الذى كان يغمره بالحب والحنان ، فيمسح عنه أشحاته ، ويزيل عنه أوراثه ، ويمده بالعزم والقوة ، ويعينه على مجاهدة هؤلاء الصم البكم الذين لا يعقلون ..؟

لقد ذهب هذا كله بذهاب أبى طالب وخديجة ، وأصبح الآن بحيث لا يجد له فى الخارج نصيرا ، ولا فى الداخل أنيسا ، فكان حريا أن يشتد به الحزن ، وأن تستبد به الوحدة ، وأن يقل الخروج ويلتزم البيت ، حتى يجعل الله له من همه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ..

لا تبكى يا بنية .. فإن الله مانع أباك ..

مالِث محمد ﷺ بعد أن فقد هذين النصيرين .. عمه أبو طالب وزوجته خديجة .. أى أن رأى قريشا تزيد فى إيذائه ، وكان من أيسر ذلك أن اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فرمى على رأسه ترابا .. فماذا صنع بالرسول الحبيب المصطفى ﷺ ؟

دخل الى بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه فاطمة ابنته وجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، وليس أوجع لنفوسنا من أن نسمع بكاء أبنائنا ، وأوجع منه أن نسمع بكاء بناتنا .

كل دمعة ألم تسيل من مآقى البنت قطرة حمم تهوى على قلبنا فينقبض ازعاجا حتى لنكاد من شدة الإزعاج نصيح ألما .

وكل أنة حزن تشير فى الحشا وفى الكبد أنات ما أقساها ، تختنق لها حلوقنا ، وتكاد تهمل بالدمع من وقعها عيوننا .

وقد كان محمد ﷺ ، أبر أب لبناته وأحناء عليهن . فماذا تراه صنع لبكاء هذه البنت التى فقدت منذ قريب أمها ، ولبكانها هى من أجل ما اصاب أباه ؟

لم يزد ذلك كله إلا توجهها بقلبه الى الله ، وإيماننا بنصره إياه . قال لابنته وعينها تهمل بالدمع :

- لا تبكى يا بنية .. فإن الله مانع أباك .

ثم كان يردد ، والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب . ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال ﷺ

- ياعم . ما أسرع ما وجدت فقدك ؟

قذارة الإبل فى كتفى الرسول ﷺ

بينما رسول الله ﷺ ، يصلى عند البيت ، وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نحرت بعض الإبل ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم ، ويأخذ قذارة الإبل ، ويضعها فى كتفى محمد إذا سجد ؟ .. فاتبعته أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ ، وضعه بين كتفيه .

ويقول مسلم عن ابن مسعود : فاتبعته أشقى القوم فأخذ القاذورات ووضعها أيضا فوق كتفى الرسول ﷺ ، فاستضحكوا ! وجعل يميل بعضهم على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لى قنعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ساجد ما يرفع رأسه .. حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة بنت الرسول ﷺ ، فجاءت ، وهى صغيرة ، وطرحت القاذورات عن كتفى الرسول ﷺ ، فلما قضى النبي صلاته ، رفع رأسه ، ثم دعا عليهم . وكان إذا دعا .. دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا . ثم قال :

- اللهم عليك بقريش ! .. ثلاث مرات .

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، ثم قال :

- " اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط ..

فو الذى بعث محمدا بالحق ، لقد رأيت الذين سمى . صرعى (أى قتلى) يوم بدر ، ثم سحبوا الى القليب .. أى البئر القديمة المهجورة قليب بدر .

ما بهذا بُعِثَ إليكم

لقد بذلت قريش كل ما تستطيع من جهد ، ضد الرسول ﷺ ، وتوسلت إليه بكل ما تستطيع من حيلة ، واستباححت مايجوز وما لا يجوز في عرف المروءة . وأتت من الأعمال ماقد لا يتصوره العقل ، ولكنها بعد كل ذلك أدركت أن محمداً لن ترهيه القوة مهما بلغت ، ولن يخدعه الإغراء مهما عظم . فأرادت أن تأتيه من طريق التعجيز والتحدى ، لعلها بذلك أن تثبت همته ، أو تكشف عجزه للناس فينصرفوا عنه وعن دعوته .

فليطالبوه إذن بالمعجزات ، وليتحدوه أن يقدم برهانا على صدق نبوته كما فعل غيره من الرسل والأنبياء . لقد أتى موسى بالمعجزات وأتى عيسى قومه بالمعجزات ، وأتى كل رسول قومه بمعجزة دلت على صدقه فيما يدعيه عن ربه .. فإن عجز عن تقديم هذا الدليل فقد انكشف امره للناس ، وأنه يفترى على الله الكذب .

فقالوا لمحمد ﷺ ، : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك ، في مال ، وجاه ، وعزة ، وسلطان ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا . فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيره عنا هذه الجبال التي قد ضيقت ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنها الشام والعراق ، وليبيعث لنا من مضي من آبائنا .

فقال لهم ﷺ ، : " ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم " .

حرب التعجيز

قالت قريش للرسول ﷺ : في حرب التعجيز :
- " سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جنانا وتصورا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه .. حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولا كما تزعم "

فقال لهم رسول الله ﷺ ، ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله يعثني بشيرا ونذيرا .. فإن تقبلوا ما جنتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يقضى الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ..

فقال رسول الله ﷺ : وذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل .

قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أننا سنجلس إليك فيعلمك ما تراجعنا به .. وأنا - والله - لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا ..

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ ، قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة - وهو ابن عمته - .

وانصرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا ، لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم إياه ..

أبو جهل .. يحاول قتل النبي ﷺ

ولما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد مناقشته قريش ،
وأنهم ما زالوا يضمرون له الشر ، قال أبو جهل :

- يامعشر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا ، وستم
أبائننا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له
غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته ، قذفت عليه الحجر ،
فيشق رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني . فليصنع بعد ذلك بنو عبد
مناف ما بدا لهم " .

قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدا ، فامضى لما تريد ..

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف . ثم جلس لرسول الله
ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان ﷺ بمكة وجعل الكعبة
بينه وبين الشام . وقام رسول الله ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ،
ينتظرون ما أبو جهل فاعل .

فلما سجد رسول الله ﷺ ، احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ،
حتى إذا دنا منه رجع منهزما ، منتقعا لونه ، مرعوبا قد يبست يداه على
حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له :

- مالك يا أبا الحكم ؟

قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى
فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل ضخامة رقبته وطولها
. ولا أنيابها لفحل قط . فهم بي يريد أن ياكلنى .

ونكر أن رسول الله ، ﷺ ، قال :

- ذلك كان جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه .. وقتله .

واصبر كما صبروا !!!

كان الرسول ﷺ ، يعلم علم اليقين ، أن الله يرعاه ويحوطه ، ويعصمه من الناس ، وأن قريشا مهما طغت وبغت لا تستطيع أن تنال منه منالا ، فكان يبلغهم رسالات ربه دون أن يخشى بأس أحد منهم ، ولكن صدره كان يضيق بما يلقي في تكذيبهم وبما يجد في صدورهم وعنادهم ، وتذهب نفسه حسرات عليهم كلما رآهم يقفون موقف العناد من دعوة الحق ، وهم أهله الآدون ، وعشيرته الأقربون ، وأولى الناس به . وهو الصادق الذي لم يجربوا عليه كذبا قط ، والأمين الذي لم يألهم نصحا ولم يضرهم لهم كيدا .

وكان يشق عليه أن يتحداه أهله وعشيرته هذا التحدى ، وأن يتهموه بالجنون والسحر والكهانة ، وقد جاءهم بما فيه صلاحهم ، وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأن يكذبوه فيما جاء به من الحق الواضح ، والآيات البينات .

وكم تمنى لو أن الله هداهم إلى الإيمان فأمنوا ودخلوا في رحمة الله مع الداخلين ، وكم تمنى لو أن الله أجابهم إلى ما يطلبون من المعجزات ، عسى أن يكون ذلك سببا في هدايتهم ، ولكن الله العليم بما كانوا وما يكون ، قد علم أنهم " لا يؤمنون ولا جاءتهم كل آية " . وكان سبحانه ، يعلم ما يجد رسوله بسبب ذلك الحزن والهم ، وما يشعر به من الضيق والألم ، فكان يخفف عنه ويواسيه ، بما يلقي في نفسه من أسباب السكينة ، وبما يقص عليه من أنباء الذين سبقوه من الرسل والأنبياء .

وما كان من صبرهم على ما كانوا يلاقون من التكذيب والأذى حتى أتاهم نصر الله ويحثه على أن يتأسى بهم ، فيصبر كما صبروا ، ويترقب النصر من الله كما ترقبوا ، ويؤكد له أن نصر الله قريب ، وأن وعد الله حق ، وأن العاقبة للمتقوى !!!

واتجه الرسول ﷺ إلى الطائف

أيقن رسول الله ، ﷺ ، أن الملا من قريش سيظلون فيما هم فيه من عناد وكفر ، وأنهم لن يؤمنوا حتى يأتيهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي المؤمنين ، فتولى عنهم ، وانتظر قضاء الله فيهم . وعزم على أن يتوجه بدعوته الى غيرهم .

وكانت قبيلة " ثقيف " بالطائف أول من فكر رسول الله في دعوتهم الى الإسلام بعد قريش . وكانت له بثقيف صلات من الرحم تدعوه الى أن يتوجه إليهم بدعوته ، فقد استرضع ، ﷺ ، في بادية بنى سعد ، وبادية بنى سعد جزء من بادية الطائف ، فأهل الطائف من هذه الناحية يعتبرون أحوال رسول الله في الرضاعة . فهم أقرب القبائل رحماً إليه من قريش .

وكان من الطبيعي إذن أن يتجه رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرحم ، ليعرض عليهم دين الحق ، وليطلب النصر والمنة فيهم ، حتى يبلغ رسالة ربه ، بعد أن تنكرت له قريش ، وقد خرج ﷺ الى الطائف في شوال من السنة العاشرة للنبوة . والمسافة بين مكة والطائف ليست مسافة سهلة ، فهي مسافة تزيد على مائة وعشرين ميلاً ، يقطعها الراكب في نحو أربعة أيام ، بين جبال وعرة ، ووهاد مقفرة ، وقد أثر الرسول ﷺ أن يقطع هذه المسافة ماشياً ، لأنه - فيما يظن - قد خرج الى الطائف خفية ، حتى لا تعلم قريش بوجهه الذي يريده .

ولأنه كان يقدر عواقب الإخفاق لو أخفق ، حتى لا تشمت به قريش ، وتشدد في طغيانها عليه . وكان معه في هذه الرحلة منفرداً ، مولاه زيد ابني حارثة .

ووقفت "ثقيف" ضد الرسول ﷺ

كانت الطائف في ذلك الحين مقر عبادة " اللات " واللات صنم كانت تعبد ثقيف وتعظمه ، وتحفل به احتفال قريش بأصنامها . وقد بنت له بيتا وجعلت له سدنة وكسوة ، وكانوا يسبغون إلى ذلك ، ويضاهنون به الكعبة ، ويحرمون وأديه . وكانت قريش وجميع العرب يعظمون اللات ، كما كانوا يعظمون " هبل " أعظم أصنام الكعبة .

وكان بين ثقيف وقريش صلوات من المودة والمنفعة متبادلة منذ القدم ، وكانت ثقيف تحرص على أن تظل هذه الصلوات قائمة بينها وبين قريش ، وكانت ثقيف قد سمعت بدعوة رسول الله ، ﷺ ، وعلمت بما كان بينه وبين قريش من خلاف ومناوأة : وكانت تعلم أن قريشا إنما تناوئ عن بينها ، مخافة أن تتصرف عنه العرب فلا تحج إليه ، وعن أصنامها مخافة أن تنحط منزلتها في نفوس العرب ، فتنحط تبعا لذلك منزلة قريش ، وكذلك كانت ثقيف تخشى أن تتأثر منزلة " اللات " بدعوة الإسلام ، وكانت فوق ذلك تحرص على رضا قريش ، وتريد ألا أن تقطع ما بينها وبينها من صلوات .

ومهما يكن السبب ، فإن ثقيفا لم تستجب لدعوة الرسول ﷺ ولم تحسن لقاءه . فقد أقام ، ﷺ ، بينهم عشرة أيام ، لا يدع أحدا من أشrafهم إلا كلمة وعرض عليه الإسلام ، وطلب إليه أن يمنعه وينصره حتى يبلغ عن ربه . لكن أحدا منهم لم يجب دعوته ، لا رجلا ولا امرأة ، ولا حرا ولا عبدا ، ولا شريفا ولا وضيعا .

فماذا يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع هؤلاء ، وكاد اليأس يسرى بين جوانحه ؟

يامحمد اخرج من بلدنا !!!

- وكان أشد ما لقي رسول الله ﷺ من أشراف ثقيف ، مالحية من أبنا عمرو بن عمير ابن عوف ، فلم يجد عندهم رغبة فيما دعاهم إليه ، بل لم يجد منهم نخوة أهل المروعة ، فقد استقبلوه جميعا فى ارتياب وشك ، وردوا عليه فى إستهزاء وسخرية . وقال له أحدهم ساخرا :
- ما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟..
- وقال له الآخر متهمكا : والله لا أكلمك أبدا .. إن كنت رسولا - كما تقول - فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك ، وإن كنت تكذب على الله فما ينبغى أن أكلمك .. !!
- أما الثالث فلقد تحدى بأن يهتك أستار الكعبة إن كان الله أرسل محمدا رسولا
- وعلم رسول الله ﷺ من رد هؤلاء الثلاثة أنه لا أمل فى ثقيف ، وخشى أن تعلم قريش بما كان من أمره ، فتقدم إليهم راجيا أن يكتموا عليه ، ولا يفشوا ما كان بينهم وبينه ، ولكنهم لم يستجيبوا له . وكأنما كانوا أشد حرصا على إفشاء الأمر منهم على كتمانهم .
- وكرهت ثقيف مقام رسول الله ﷺ بينها ، حيث مكث عشرة أيام ، وخشيت عواقبه ، وخافت أن يصيبها ما أصاب قريشا من اضطراب الأمر ، فقالوا له :
- يامحمد اخرج من بلدنا ، والحق بما شئت من الأرض ، فإننا نخاف على أحداثنا وضعفائنا أن تفتنهم .
- وبعد ذلك أغروا به سفهاءهم ، وسلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم ، يسبونهم ، ويصيحون به ، وتأمروا عليه كيف ذلك .. !!

اللهم إني إليك أشكو ضعف قوتي

سلطت ثقيف عبيدهم وصبيانهم على الرسول الكريم ﷺ ، يسبونهم ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له على طريقة حنين ، فرما مر ﷺ ، بين الصفين ، أخذوا يرشقونه بالحجارة ، حتى دميت رجلاه ، وتخضبت نعلاه بالدم ، وكان كلما زادت عليه الحجارة قعد إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون .

ولم يكن هناك من يدفع عنه أذى أولئك السفهاء ، سوى مولاه زيد بن حارثة ، رضى الله عنه ، فقد جعل زيد يقيه بنفسه ، ويتلقى عنه ما يستطيع أن يتلقى من الحجارة ، حتى شج في رأسه شجاجة كثيرة .

إن هذا المنظر الرهيب تجسد لي عندما وقفت أول مرة أمام حضرة الرسول ﷺ عام ١٩٨١ ، فخذلتني قدماه ، وهويت على الأرض ، أبكى عدة ساعات والدموع تغسلني ، ويتكرر ذلك المشهد في مخيلتي كلما زرت الحبيب المصطفى ﷺ في زيارة عمره أو حج . وكلما مرت بي المحن والآلام ، والمصائب والفواجع ، يتجسد لي هذا المشهد الأليم ، وأتمم بدعاء الرسول ﷺ " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .. " ولكم في رسول الله أسوة حسنة .. ينزاح عن قلبي الهم ، ويزداد إيماني بما قسمه لي الله سبحانه وتعالى . فياليت ينغرس حب الرسول في قلوب العاشقين المؤمنين المسلمين ، فينصلح حالنا ، ونصبح خير أمة أخرجت للناس .

وهكذا جعل أولئك السفهاء يطاردون الرسول ﷺ ويتعقبونه ، حتى استطاع أن يحتمى منهم بحائط بستان هنالك لرجلين من قريش . فانصرفوا عنه بعد ما أجهدوه وأنهكوه . فماذا حدث ؟؟

وكلما ضاقت حلقاتها .. قُرِجَتْ !!!

جلس الرسول الكريم ﷺ ، تحت كرمة فى بستان عتبة وشيبة ابنى ربيعه ، يسترد أنفاسه ، وقد بلغ منه الحزن كل مبلغ ، واشتد به الأسى على هؤلاء القوم الذين جاء إليهم بالهدى والنور ، فى ثقيف ، فكان جزاؤه منهم هذا اللقاء المنكر ، وهذا العذاب الأليم .

وعزت على رسول الله نفسه ، وشعر بوخز الهوان يغرى فؤاده الطاهر ، فجلس يفكر فى أمره ، ويستعرض ظروفه وأحواله ، فبدأ له الموقف أشد ما يكون قسوة ، وأعظم ما يكون قسوة ، وأعم ما يكون حرجا ، وأحوج ما يكون الى مدد من العون الإلهى ، وقبس من النور السماوى ، الذى تنكشف به الظلمات ، وتنفرج به الكروب .

لقد تنكرت له قریش حتى ضاقت به وضاق بها ، وانقطع أمله فى أن تؤمن بالله ورسوله ، فجاء ينشد الأمل والنصرة فى ثقيف . فكان موقفها منه ، ومن دعوته أشد وأنكى من موقف قریش .

لكن الله الذى كرمه بهذه الرسالة ، ووعده عليها النصر والتأييد ، لا يمكن أن يخلف وعده ، فإذا كان الأهل والعشيرة قد جفوه وأنكروه ، فإن الله لن يتخلى عنه ، وهو وحده القادر على أن يجعل له من هذه الشدة مخرجا ، ومن هذا الضيق فرجا !!!

وتحركات نفسه بالأمل ، وجاش صدره بالضراعة ، واتجه بقلبه الى الله ينهل إليه ، ويرجو منه الغوث والرحمة ، ويستعيز به من خواطر الضعف والقشل ، وهواجس اليأس والقنوط ...

إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالي !!

كان الرسول ﷺ ، إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .. فلما انتهى من صلاته ، رفع يديه بالدعاء يقول :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين !! .. أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ .. إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى .. " إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عاقبتك أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك !! وأثر منظر الرسول ﷺ في صاحبي البستان - عتبة وشيبة ابني ربيعة ، فتحركت له الرحمة في قلوبهما ، وأشفقا عليه مما أصابه من الإعياء والهوان ، فأرسلا إليه قطفا من عتب البستان ، مع غلام لهما يقال له " عداس " .

فلما ذهب إليه عداس وقدم له القطف ، تناوله منه شاكرا قائلا ثم قال : " بسم الله الرحمن الرحيم " . وأخذ يأكل . فدهش لذلك عداس ، ونظر إليه قائلا :

- والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلدة .
- فقال ﷺ : فمن أي البلاد أنت ؟
- قال عداس : نصراني من نينوى ..
- فقال ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟
- فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

عداس يكرم النبى ﷺ ويؤمن به !!

قال رسول الله ﷺ : والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون أين متى ؟ .. ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ..
فأكب عداس على رسول الله ﷺ ، يقبل رأسه ويديه ورجليه ، فجعل ابنا ربيعه ينظران إليه ، ويقول أحدهما لصاحبه :
- لقد - والله - أفسد علينا غلامنا ..
فلما جاء عداس قال له : ويلك يا عداس .. مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه؟؟
قال عداس : والله مافى الأرض شئ خير من هذا .. لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى
قالا له : ويحك يا عداس .. لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه ..
ويقول الرواة .. إن عداسا أسلم وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وأنه معدود فى صحابة رسول الله ﷺ .
كان ذلك اليوم من الأيام الشديدة التى مر بها رسول الله ﷺ وكان ما لقى فيه من سادات ثقيف ومن سفهائها ، جديرا بأن يززع الجبال الراسخة ، ولكن رسول الله ﷺ ، خرج من هذا الإمتحان وهو أشد ما يكون ثقة بربه عز وجل ، وأكثر ما يكون طمأنينة الى نصره وتأييده .
على أن هذا الذى لقيه من أهل الجهالة والسفه من قريش ومن ثقيف ، لم يترك فى نفسه شيئا عن الضعف لهم ، ولا من الحقد عليهم ، بل ظل يتمنى لهم الهداية ، ويرجو أن يمن الله عليهم بنعمة الإيمان ، أو يجعلها فى ذرياتهم إن لم يكن قدرها لهم فى أنفسهم .

أرجو أن يخرج الله من أصلاب الكفار .. من يعبدہ !!

روى البخارى ومسلم أن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت لرسول الله ﷺ

- هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟
- قال رسول الله ﷺ : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد طلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق من الغم إلا وأنا (بقرن الثعالب) - مكان بين مكة والطائف - فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال :

" إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله لك ملك الجبال لتأمره بما شئت. "

قال ﷺ : فنادانى ملك الجبال ، فسلم على ثم قال :

- يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى الله إليك لتأمرنى ، إن شئت دمرت عليهم الجبال ، وإن شئت خسفت بهم الأرض .
 - قال ﷺ : لا ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبدہ وحده ولا شريك له
- وقد انصرف رسول الله ﷺ من الطائف عائدا الى مكة ، فلما وصل فى طريقه إلى مكان يسمى " نخلة " قام من الليل يصلى ، ويرتل من القرآن ما شاء الله أن يرتل . فمر به جماعة من الجن فاستمعوا إليه ، فأعجبهم ما سمعوا من هذا الكلام الذى يهدى الى الرشـد ، ويدعو الى الحق ، فأمنوا به وصدقوه .

فماذا حدث بعد ذلك ؟

الجن يستمعون إلى القرآن الكريم

عندما استمع نفر من الجن إلى الرسول ﷺ ، وهو يقرأ القرآن الكريم ، آمنوا به وصدقوه ، وذهبوا إلى قومهم يذيعون بينهم هذا النبأ ، ويدعونهم إلى الإيمان بما جاء به هذا الرسول .

بسم الله الرحمن الرحيم : قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم " صدق الله العظيم " [سورة الأحقاف ٣٠-٣١].

ونزل الوحي على رسول الله ﷺ ، ينبئه بما كان من أمره وأمر هؤلاء الجن الذين آمنوا به وصدقوه ، فاستبشر ﷺ بذلك ، وأيقن أن طلائع الفرج قد أدنت ، وأن بشائر النصر قد واثت ..

وأقام رسول الله بنخلة ثلاثة أيام ، يدبر لنفسه خطة الدخول على قريش ، حتى يأمن أذاهم ويتقى طغيانهم ، ولاسيما بعد ما سبقه النبأ إليها ، بما كان بينه وبين ثقيف .

قال زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟

ولعل زيدا ، رضي الله عنه ، ظن أن رسول الله لن يعود إلى قريش ، بعد أن يأس من إيمانهم ، وبعد أن لقي مآلئ منهم ، لكن رسول الله ﷺ كان على يقين بنصر الله عز وجل فقال ﷺ

- يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه " ..

المطعم بن عدي .. يجير الرسول ﷺ

وكان لابد له ، ﷺ ، أن يعود إلى مكة ، ليعرض دعوته على القبائل التي تحضر موسم الحج ، وكان موسم الحج قد أقبل ، وكان لابد له من أحد يجيره من قريش ، حتى يستطيع أن يبلغ دعوته إلى القبائل التي حضرت الموسم .

فأرسل إلى " الأخنس بن شريق " يعرض عليه أن يدخل مكة في جواره ، فأجاب معتذرا بأنه حليف قريش ، فأرسل ﷺ إلى " سهيل بن عمرو " ليجيره ، فتعلل بأن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي .

فأرسل ، ﷺ ، إلى " المطعم بن عدي " ، فأجابه المطعم إلى ما أراد ، وبعث إليه أن يدخل مكة في جواره ، فذهب رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة .

فلما أصبح خرج ﷺ ، وخرج معه المطعم وبنيه السنة وقد تقلدوا السيوف جميعا ، فدخلوا المسجد وقالوا لرسول الله :

" طف " . وطافوا معه بسيوفهم

فأقبل أبو سفيان إلى المطعم فقال :

- أمجير أم تابع ؟
- قال المطعم : لا . بل مجير
- قال أبو سفيان : إذن لا ينقض عهدك ولا يعتدي أحد على من أجرته وتصديت لحمايته .

وجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه . فلما قضى طوافه وانصرف انصرف معه المطعم وبنيه السنة يحيطون به . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه ، يخبر القوم بما كان من جوار المطعم لمحمد ، واضطرت قريش أن تمضي جوار المطعم بن عدي ، فلم تتعرض لرسول الله ﷺ ، بسوء لكنها جعلت تفكر وتدبر ، وتتأمر ..

أسواق العرب فى موسم الحج

عاد رسول الله ﷺ ، إلى مكة بعد رحلته إلى الطائف ، وحضر موسم الحج ، وأقبلت قبائل العرب على البيت الحرام من كل فج عميق ، تؤدى مناسك الحج ، وتقدم للأضنام ما عليها من نذور وقرايين .

وكان من عادة العرب كلما حضروا إلى مكة فى موسم الحج ، أن ينتهزوا فرصة الأشهر الحرم فى ذلك الموسم ، فيعرضوا بضائعهم فى أسواق مكة . وكان أشهر هذه الأسواق ثلاثة : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز .

فأما عكاظ .. فهى سوق بين مكة والطائف ، على بعد يوم من الطائف ، وثلاثة أيام من مكة ، وأما " مجنة " فهى سوق بأسفل مكة ، على نحو إثني عشر ميلا منها ، وأما ذو المجاز " فهى سوق على يمين الموقف فى عرفة على بعد فرسخ منها (أى كيلو متر ونصف) . وهى أقرب الأسواق الثلاث مكانا إلى مكة .

فكان العرب يبدأون بعكاظ ، فيحضرون إليها مع هلال ذى القعدة ، فيقيمون بها عشرين يوما ، ثم ينصرفون إلى " مجنة " فيقيمون بها عشرة أيام ، فإذا رأوا هلال ذى الحجة ، انصرفوا إلى ذى المجاز ، فأقاموا بها ثمانى ليال . ثم يثروون من مائها فى اليوم الثامن ، ويخرجون إلى عرفة ليؤدوا مناسك الحج .

وكان رسول الله ﷺ ، قد عقد العزم على أن يعشى هذه الأسواق ، ليعرض نفسه على القبائل التى حضرت الموسم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ، ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

هو فى الجسم بشر ، وهو نور فى البصيرة والبصر

ياحبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

قريش تستعد لتشويه الدعوة

وكانت قريش قد أعدت عدتها ، منذ أن عرفت ما عزم عليه رسول الله ﷺ ، على عرض دعوته على القبائل ، وأجمعت رأيها على أن تشويه هذه الدعوة عند قبائل العرب ، وأن تحذرهما من سحر محمد ، وما ينجم عنه من الفرقة والخلاف بين الأهل والعشيرة ، وقد أعدت لذلك مثلاً ما أصابها هي من فرقة وشقاق بسبب دعوته .

- وروى ابن إسحق : " أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان زعيماً بينهم . وقد حضر الموسم ، فقال لهم :
- يامعشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وأن وقود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد بعضكم قول بعض .
 - قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل واقم لنا رأياً نقول به
 - قال : بل أنتم تقولوا اسمع
 - قالوا : نقول : كاهن
 - قال : لا . والله ما هو بكاهن " ولقد رأينا الكهان فما هو منهم .
 - قالوا : فنقول : مجنون .
 - قال : ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون وعرفناه
 - قالوا : فنقول .. شاعر .
 - قال : ما هو بشاعر ، فقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بشاعر .
 - قالوا : فنقول .. ساحر
 - قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وما أنتم بقاتلين من هذا شينا إلا عرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر .. جاء يقول هو سحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته !!
 - فتفرقوا عنه بذلك .. فجعلوا يجلسون سبل الناس حين قدموا موسم الحج ، لا يمر بهم أحد إلا وحذروه إياه .. وذكروا له أمره

قريش تحذر من سحر محمد ﷺ

وجعلت قريش تتابع رسول الله ﷺ ، أينما ذهب ، فكلمها ذهب الى قبيلة من القبائل يعرض عليها دعوته ، وقف عليه رجل من قريش يحذرهما من سحره ومكره ، ويتهمه عندها بالجنون تارة ، وبالكذب تارة ، وبالسحر تارة أخرى . وكان لقريش مكانها في نفوس العرب ، فكان لقولهم أثره في إعراضهم عن رسول الله ﷺ ، وعدم استجابتهم لما يدعو إليه الحق الواضح ، والنور المبين .

وروى ابن اسحق عن ربيعة بن عباد الدؤلي أنه قال :

" إني لغلام شاب مع أبي يمني ، ورسول الله ﷺ ، يقف على منازل القبائل من العرب .. فيقول : " يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، أدعوكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأعداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي ، وتمنعوني حتى أبلغ عن الله ما بعثني به " .

قال .. وخلفه رجل أحول وضئ ، له غدירתان ، وعليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل :

- يا بني فلان .. إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك .. إلى ما جاء به من البدعة والضلالة : فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .
 - قال : فقلت لأبي ، يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟
 - قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب .. أبو لهب .. !!
- وروى البيهقي عن رجل من كنانة قال : رأيت رسول الله ﷺ ، بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا " . وإذا رجل خلفه يرمى عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل .. وهو يقول :
- أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى !

لا حاجة لنا بك !!!

ولم يمنع رسول الله ﷺ ، بعد إيذاء قريش ، أن يسأل القبائل في منازلها ، يعرض عليها دعوته ، ويسألها نصره وحمايته حتى يبلغ رسالة ربه ، غير مبال بما يلقاه من مناوأة قريش لدعوته ، وسعيها لدى القبائل في تشويهاها ، وتمويه الحق بالباطل في أمرها ، موقنا أن الغلبة للحق ، وإن طال الزمن ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .

وقد تأثرت القبائل بسعي قريش أيما تأثر ، فما من قبيلة إلا وأعرضت عن رسول الله ﷺ ، وردت عليه دعوته في موسم الحج . وأن كانت طريقة الرد تختلف باختلاف القبائل ، فمن القبائل من كان يغلظ له الرد ، ومنها من كان يساومه في الثمن ، ومنها من كان يسخر منه ، ويستهزئ بدعوته ، ومنها من كان يستأني في الرد حتى يفكر في الأمر وينظر في العواقب .

وروى أصحاب السير .. " أن رسول الله ﷺ ، أتى كندة في منازلهم فدعاهم إلى الله ، عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه .. وأتى بني حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم . وأتى بني عامر ابن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فقالوا له :

- أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك أكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال ﷺ : الأمر لله يصنعه حيث يشاء ..

فقالوا : أفتهدف تحورتا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ .. لا حاجة لنا بك

فأبوا عليه !!

الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل

كان أهم ما يعنى رسول الله ﷺ أن يجد المتعة والقوة عند القوم الذين يدعوهم الى دين الله ، وأن يجد لديهم الرغبة الخالصة فى أن ينصروه ويمنعوه ممن خالفهم . فقد كان يعلم أن العرب جميعا يحسبون حساب قريش . وأنه لا ينهض بهذه الدعوة إلا من آمن بها أصدق الإيمان ، وباع نفسه لله فى سبيلها عن رضا وطوعية .

فكان كلما أقبل على قوم سألهم عن نسبهم ، وعن عددهم ، وعن متعتهم ، ثم عرض عليهم نفسه ودعاهم الى الله ، ورغبهم فيما جاءهم به فى الخير ، وخبرهم بعد ذلك فيما يريدون لأنفسهم . حتى إذا ما وجد منهم تهللا أو اعتذارا ، أو رأى فيهم طمعا أو مساومة ، تركهم وانصرف عنهم الى غيرهم .

وكان رسول الله ﷺ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يذوده ويمنعوه ، ويقول :

- لا أكره أحدا منكم على شئ من رضى منكم بالذى أدعوا إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه . إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد من القتل ، حتى أبلغ رسالة ربي وحتى يقضى الله لى ولمن صحبتى بما شاء .

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحد من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ، ولفظوه ؟

ياحبيب الرحمن ، ياشفيعنا يوم القيامة والفرقان

جلّ من سواك نورا هاديا للبشرية

الإسراء .. والمعراج

فى عام ٦٢٢ ميلادية (السنة الحادية عشرة) للنبوة وقعت أحداث وأحداث فى حياة الرسول الكريم ، ﷺ ، ولكن أهمها واقعة الإسراء والمعراج .

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك معنى الإسراء والمعراج . لذلك ما لبثوا حين حدثهم صلى الله عليه وسلم بأمر أسرائه أن وقفوا عند الصور المادية من أمر هذا الإسراء ، وإمكانه أو عدم إمكانه ، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعض الريب فيها فيما يقوله . وقال كثيرون ، هذا والله الأمر البين ، والله إن العير تقضى شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة . أيذهب محمد ﷺ فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة .. ؟ وارتد كثير ممن أسلم ، وذهب من أخذتهم الريبة فى الأمر إلى أبى بكر . وحدثوه حديث محمد .

فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه . قالوا : بلى .. ها هو ذاك فى المسجد يحدث الناس . قال أبو بكر : والله لئن كان قد قاله . لقد صدق . إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتية من الله من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به .

وعاد أبو بكر الى النبى ﷺ ، واستمع إليه ، يصف بيت المقدس ، وكان أبو بكر قد جاءه . فلما أتم النبى ﷺ صفة المسجد ، قال له أبو بكر : صدقت يا رسول الله .

ومن يومئذ دعا محمد ﷺ أبا بكر بالصديق . ورغم الخلافات التى حدثت ، فإن الرسول ﷺ ، قد أسرى به روحا وجسدا ، وليس هذا يبعد عن الله عز وجل . والذى يؤمن برسالة محمد ﷺ ، لابد أن يزداد إيمانه بحادثة الإسراء والمعراج إيمانا مطلقا ، مثل الإيمان بالبعث والحساب وبوحدانية الله سبحانه وتعالى.

ونتلوا آيات الله " بسم الله الرحمن الرحيم " سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا . إنه هو السميع البصير " صدق الله العظيم

حول الإسراء والمعراج

إن الأحاديث النبوية عن الإسراء والمعراج ، كثيرة مستفيضة ، ولقد رويت عن أكثر من ستة وعشرين صاحبيا يكمل بعضها بعضا . ولا يعني أن نذكر الموضوع بكل تفصيلاته ، فإنه عادة معروف للمسلمين ، وإنما الذى يعني أن نذكر على الخصوص الجانب الأخلاقى فيه ، وجانب المغزى منه .

وقال ابن اسحق عن حديثه فى الإسراء والمعراج :
" وكان فى مسراه ، وما ذكر منه .. بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله ، فى قدرته وسلطاته ، فيه عبرة ، لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين .
فأسرئ به كيف شاء ، وكما شاء ، ليريه من آياته الكبرى ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره ، وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد " .

ومجمل الأمر : أن رسول الله ﷺ بينما كان نائما .. أتاه جبريل ، فأيقظه وخرج معه ، فإذا أمامهما دابة بيضاء هى : البراق ، وركبها رسول الله ﷺ وسارت الدابة ، وجبريل معه . على حد تعبيره ﷺ :
" لا يفوتنى ولا أفوته " حتى انتهى الى بيت المقدس ..

فوجد فيه إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فى نفر من الأنبياء ، فأمرهم رسول الله ﷺ وصلى بهم ، ثم أتى بأتاعين .. أحدهما خمر ، وبالأخر .. لبن .. فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن . وشرب منه ، وترك إناء الخمر فقال له جبريل :

.. " هديت للفطرة ، وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر " .
ولما إنتهى صلوات الله وسلامه عليه من بيت المقدس ، عرج به الى السماء ، وأخذ يرتقى سماء سماء ، ثم تجاوزها جميعها الى سدة المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى .

وهناك حيا الرسول ﷺ ربه : التحيات لله ، والصلوات والطيبات . وحياء الله سبحانه وتعالى : السلام عليك .. أيها النبى ورحمة الله وبركاته . وقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

متى يخف وزن الإيمان فى النفوس

إن نبأ الإسراء والمعراج .. يسمعه قوم فلا يصل إلا الى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة ؟ أم كان ذلك فى النوم ؟ أكان ذلك بالروح والجسد ؟ أم كان بالروح فقط ؟ وهل كان ليلا ؟ أم كان نهارا ..

وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس .

ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة طبيعية ، الى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا النبأ .. ينطوى على توجيهات لا ينبغي أن يمر عليها الناس من الكرام .. من هذه التوجيهات :

أولا : لقد كان رسول الله ﷺ ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله الى العالم بين الفينة والفينة . لتهدى إلى الرشاد ، ولتعود إلى الله ، ولتسموا بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم الى الكمال المرجو ، عن طريق الإرشاد الإلهى ، وكان الكتاب الذى أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه ، وهو : القرآن الكريم ، خاتم الكتب ، وأكملها ومهيمنها عليها .

ومن هنا كانت إمامته ﷺ بالرسول والأخياء فى بيت المقدس ، لقد وصل ﷺ إلى مالم يصل إليه بشر ، بل إلى مالم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ، لقد وصل إلى " قاب قوسين أو أدنى " وقد بلغ ﷺ فى معارجه الى درجات تجاوزت فى روحانيته - آدم فى سمائه الأولى ، ثم تجاوزت يحيى ، وعيسى عليهما السلام فى سمائهما الثانية ، ثم تجاوزت يوسف عليه السلام فى سمائه الثالثة ، وهكذا تجاوزت روحيا إبراهيم عليه السلام ، فى سمائه السابعة .

ولقد تجاوز كل ذلك وتجاوز الكون كله الى سدرة المنتهى ، إلى شجرة النهاية ، الى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل !!

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

مشاهد من الإسراء والمعراج

سار رسول الله ﷺ في مسراه ، فمر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان .

فقال ﷺ : ما هذا يا أخى يا جبريل ؟

قال : هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمئة ضعف ، وما انفقوا من شئ فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين . عادت كما كانت ، لا يفتتر عنه من ذلك شئ .

فقال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء هم الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ، ونار جهنم .

فقال ﷺ : ما هؤلاء ؟

قال جبريل : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله ، وماربك بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم .. لحم نضيج طيب في قدر طيب ، ولحم خبيث نيئ في قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون من الخبيث النى ويدعون النضيج الطيب .

قال ﷺ : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال جبريل : هذا مثل الرجل من أمتك .. تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة خبيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح . ومثل المرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثا ، فتبيت عنده حتى تصبح . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزد عليها .

فقال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال جبريل : هذا مثل الرجل من أمتك .. يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها . وهو يريد أن يزد عليها

اللهم نجنا من عذاب النار .. يا عزيز يا غفار

ثم أتى رسول الله ﷺ ، وهو معراجة ، على قوم تعرض السنتهم ، وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتقر عنهم من شئ .

قال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال جبريل : هؤلاء خطباء الفتنة !!!

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

فقال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يرد .

ثم أتى على واد توجد فيه ريحا طيبة باردة كريم المسك وسمع صوتا .

فقال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال جبريل : هذا صوت الجنة .. تقول رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت غرقي ، واستبرقي ، وحريري ، وسندسي ، ولؤلؤي ، ومرجاني ، وفضتي ، وذهبي ، وأكوابي ، وصحافي ، وأباريقي ، ومراكبي ، وعسلي ، ومائي ، ولبنى وخمري .. فأتني ما وعدتني .

قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي ، وبرسلي ، وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ، ولم يتخذ من دوني أندادا . ومن خشيني فهو آمن . ومن سألني فقد أعطيته ، ومن توكل على كفيته ، إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون .

قالت : رضيت ثم أتى على واد ، تسمع صوتا منكرا ، ووجد ريحا منتنة .

فقال ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال جبريل : هذا صوت جهنم .. تقول رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسلي ، وأغلالى وسعيري ، وضريعى وعذابى ، وقد بعد قعرى ، واشتد حرى ، فأتني ما وعدتني .

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب .

قالت : قد رضيت . وسار الرسول الكريم ﷺ .. حتى أتى بيت المقدس .

اللهم نجنا من عذاب النار ، يا عزيز يا غفار ..

ثمار .. الإسراء والمعراج

ومن الثمار التي جنتها الأمة الإسلامية ، والتي كانت ن مقاصد إذاعة نبا الإسراء والمعراج .

إنفصال ضعاف النفوس ، والشاكين والمترددين . إنفصال كل هؤلاء عن الأمة الإسلامية . لقد كفر - عند سماع النبا - من كفر بعد إسلامه ، وارتد من ارتد بعد إيمانه ، وما كان هؤلاء لو بقوا إلا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة .

إن هؤلاء المكيين .. يجب أن يصفوا تصفية تامة كاملة .. ومن وسائل هذه التصفية .. إذاعة نبا الإسراء والمعراج . لينكس من يتنكس ، وليبقى من يبقى ، عن بصيرة وبينة ، وعن إيمان لا يتزعزع مهما كانت الأحداث . إيمان بصدق الرسول ﷺ في كل ما يأتي به ، بصدقه بمجرد إنبائه .

والمثل الأعلى في كل ذلك .. إنما هو سيدنا أبو بكر ، حينما يعلن في غير تردد : " لنن كان قاله .. فلقد صدق .. والأمة الإسلامية بأكملها .. مطلوب منها بالنسبة إلى إخبار رسول الله ﷺ أن تكون على غرار الصديق ، رضوان الله عليه .

إن أقلام الموتورين التي تشك في السنة ، وفي الأحاديث النبوية .. ليست إلا أقلاما مقلدة للمستشرقين لا تحمل طابع الأصالة ، ولا طابع التجديد ، إنما تحمل طابع التقليد ، وطابع الشك والتردد الذي يتنافى مع الإيمان ، ويتنافى مع الصديقية نسبة الى الصديق أبي بكر . وأما ثمرة الإسراء والمعراج ، وأعظم المنح الإلهية .. فهي الصلاة ..

فالصلاة هي الصلة به سبحانه وتعالى ، إنها فترة إنقطاع كامل عن عالم المادة ، والشهوات ، وعالم الفتنة ، ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين . إن الصلاة هي البراق الذي يجتاز به المؤمن في سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه وتعالى ، ليصل إليه تعالى فينعم في رحابه .

إن كل من يترك ما يترك هذه الآفاق العليا ، ويتجاوزها ليتحدث عن : أن الرسول ﷺ أسرى بجسمه وبروحه ، أو بروحه فقط ، أو أسرى به بقطعة أو مناما ، إنما هو بذلك ينحدر بنفسه من التجلى الإلهي ليهوى منتكسا الى جو اللات والعزى ، والى ظلمة الجدل وزيف المماراة في الدين . ولندع الله قاتلين : " بسم الله الرحمن الرحيم " : " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب " صدق الله العظيم [سورة آل عمران : ٨]

قصة الطفيل بن عمرو

إن أكثر القبائل كانت تجامل قريشا ، وتتقى أن تقف منها موقف العداء ، لما كان لقريش من المكانة في نفوس العرب ، فكان إعراض القبائل عن رسول الله ﷺ راجعا في الأغلب إلى هذا السبب ، أكثر مما هو راجع إلى عدم تصديق الرسول فيما يدعوهم إليه ،

ولقد بذلت قريش غاية جهدها في محاربة الرسول وتشويه دعوته ، حتى أيقنت العرب أن صاحب هذه الدعوة هو أعدى عدوها ، وأن كل من يتابعه أو يؤازره أو يمنعه ، إنما يناصره على قريش ويبارزها جهرا بالعداوة .

على أن قريشا برغم ما بذلت من الجهد في تشويه دعوة الرسول ﷺ في تحذير الناس منه ، لم تستطع أن تحول بين الدعوة وبين الظهور والانتشار وانتشر ذكر الرسول الكريم ﷺ ، فلا بلاد العرب كلها . وكانت مبالغة قريش في التحذير منه ، سببا في لفت الأنظار إليه ، وإلى ما يدعو إليه من هذا الدين الذي تحذر منه قريش .

وقصة " الطفيل بن عمرو الدوسي " تؤكد مدى تأثير قريش على عقول العرب .. فقد كان الطفيل بن عمرو سيدا مطاعا في قبيلة دوس وكان قد قدم مكة حاجا ، فاجتمع به أشراف قريش ، وحذروه من رسول الله ﷺ ، ونهوه أن يجتمع به ، أو يسمع كلامه ..

قال الطفيل : " فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت لا أسمع منه شيئا ، ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد بالقطن ، خوفا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقممت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاما حسنا . فقلت لنفسي : واأكل أمي !! والله إنني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول . فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته . فماذا حدث للطفيل بن عمرو بعد ذلك ؟

الشر يحمل الخير فى ثناياه

وجلس الطفيل بن عمرو يستمع الى ما يقوله الرسول الكريم ﷺ ،
من آيات القرآن الكريم .. فانتظر حتى انصرف الرسول ﷺ الى بيته . يقول
الطفيل : دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا والله ما
برحوا يخوفوننى أمرك ، حتى سددت أذنى "بكسفف" أى بالقطن لنلأ
أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك . فسمعت قولاً حسناً ،
فاعرض على أمرك .

فعرض على ﷺ ، الإسلام ، وتلا على القرآن الكريم . فلا والله
ماسمعت قولاً قط منه ، ولا أمراً أعدل منه .. !!

فأسلمت وشهدت شهادة الحق !!

وانصرف الطفيل الى قومه ، فجعل يدعوهم الى الإسلام ، فاعتلوا
عليه حيناً ولكنه لم يزل بهم حتى أسلم منهم نحو ثمانين بيتاً ، فقدم بهم
على رسول الله ﷺ وهو بالمدينة فى غزوة خيبر . فأسهم مع المسلمين فى
الغنائم .

ومهما يكن من شئ ، فإن كيد قريش لدعوة الرسول ﷺ لم يكن شراً
على الدعوة ، بل كان شراً يحمل الخير فى ثناياه ، فقد ذاعت بسببه أنباؤها
فى جميع بلاد العرب . وكما كان هذا الكيد سبباً فى إيمان الأحرار من أمثال
الطفيل الدوسى ، كان سبباً فى إيمان الأنصار من "الأوس" و "الخزرج"
وكان سبباً فى انتقال الدعوة الى المدينة ، ثم فى انتشارها فى بلاد العرب
كلها ، ثم فيما شاء الله بعد ذلك من أقطار الأرض . .

بسم الله الرحمن الرحيم "والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون" صدق الله العظيم .

زواج الرسول ﷺ من سودة

- تتابعَت السنوات . ففي عام ٦٢٢ م (السنة الحادية عشر للنبوَة) كان الإسراء والمعراج . وفرضت الصلاة بصورتها الحالية أثناء المعراج . وعندما أصبح رسول الله ﷺ ، في صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبريل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها .
- وأمر رسول الله ﷺ ، أصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبريل في ذلك اليوم ، والمسلمون يأتُمون بالنبي ﷺ ، وهو يقتدى بجبريل ، وروى أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس صلوات ، ورخص في السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديما .
- وفي سنة ٦٢٣ م تزوج النبي ﷺ من سودة بنت زمعة وخطب عائشة بنت أبي بكر ، وتركها عند أهلها لصغر سنها .. كيف ؟
- لذلك قصة . فلما توفيت خديجة رضى الله عنها ، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، فقالت :
- يا رسول الله .. ألا تتزوج ؟ .. والبيت أصبح خاليا ، والأولاد صغار في حاجة الى الرعاية ؟
- قال ﷺ : من ؟
- قالت : إن شئت بكرا ، وإن شئت ثيبا .
- قال ﷺ : فمن البكر ؟
- قالت : أحب خلق الله إليك . عائشة ابنته أبي بكر !!
- قال ﷺ : ومن الثيب ؟
- قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك وابتعتك .
- قال ﷺ : فاذهبي .. فاذكريهما على .
- فدخلت بيت أبي بكر فقالت :
- يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟
- قالت : وماذا ؟
- قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ اخطب عليه عائشة
- قالت : انتظرى أبا بكر حتى يأتى

نبذة عن فتحى الأبيارى

- * ولد الأستاذ فتحى الأبيارى بالإسكندرية يوم ٣ أغسطس ١٩٣٤ .
- * والده المرحوم الأستاذ حسين أحمد الأبيارى أستاذ الكيمياء والطبيعة بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية.
- * تلقى تعليمه بمدرسة رأس التين الابتدائية، ثم مدرسة العباسية الثانوية. وتخرج فى كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٥٨ .
- * نال درجة الامتياز فى الماجستير، وكان موضوعها: الرأى العام والصحافة الإقليمية، وأثرها فى التنظيم السياسى عام ١٩٦٨ بإشراف الدكتور محمد عبد المعز نصر... أستاذ فلسفة السياسة، وعميد كلية الآداب فى ذلك الوقت، ومناقشة الصحفى الكبير المرحوم محمد زكى عبد القادر (رئيس تحرير الأخبار).
- * دراسات عليا فى الآثار الإسلامية، بكلية الآثار بجامعة القاهرة ١٩٨٠ .
- * أصدر الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قرارا بتعيينه عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ٢٠٠٢ تقديراً لجهوده فى الفكر الإسلامى وسيرة الرسول سيدنا محمد ﷺ وتعيينه بمجلس إدارة مسجد النور بالعباسية وهو من أكبر مساجد القاهرة.
- * أكرمه الله سبحانه وتعالى بأداء فريضة الحج مرتين، والعمرة ٢٣ مرة.
- * يعكف على إعداد سلسلة كتب الصحوة «دفاعا عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ».
- * وكتاب «نحو المستقبل» ملقيا الأضواء على حال المسلمين الآن من الضياع والتفكك والانحيار إلى كيفية استعادة المسلمين والعرب لقوتهم فى المستقبل. وتنتشر هذه المقالات أسبوعيا فى جريدة «اللواء الإسلامى» التى يرأس تحريرها الكاتب الصحفى «محمد الزرقانى»

- * تفرغ لكتابة باب (المكتبة الإسلامية) بمجلة منبر الإسلام التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لمدة عشر سنوات منذ عام ١٩٧٠ حتى الآن ٢٠٠٣.
- * حصل على وسام الدولة للعلوم والفنون من الرئيس حسنى مبارك فى عيد الإعلاميين مايو ١٩٩٥ تقديرا لنشاطه الصحفى ولإصداره جريدة «المستقبل»، أول جريدة من نوعها فى الصحافة المصرية ١٩٨٥ حتى الآن، وهى جريدة الجرائد الإقليمية فى محافظات مصر.
- * حصل على درع الرواية فى مؤتمر الرواية بالإسكندرية ١٩٩٥ الذى نظمته هيئة قصور الثقافة. ولإنشائه أول ناد للقصة بالإسكندرية منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن، تخرج فيه معظم أدباء القصة.
- * حصل أيضا على درع أدباء الأقاليم لمساهمته الفعالة فى إلقاء الأضواء على أدباء الأقاليم فى برنامجه: «مع أدباء الأقاليم» بإذاعة الشعب منذ عام ١٩٧٣. وكتابات فى الملحق الأدبى بالأخبار، وآخر ساعة، ومجلة أكتوبر. ومجلة عالم القصة، وجريدة «المستقبل» وعلى كأس محافظة الإسكندرية وشهادة تقدير من جامعة الإسكندرية.
- * قدم للمكتبة العربية سبعين كتابا فى الأدب والفكر السياسى،

والقصة، والرواية، والدراسات السياسية، والإعلامية والإسلامية. أشهرها موسوعة «المحمديات» التي أذيعت فى حلقات بالبرنامج العام طوال أربع سنوات منذ عام ١٩٩٢ وينابيع الحب «بالشرق الأوسط» منذ عام ٢٠٠٠.

* طاف فى جولاته الصحفية بمعظم عواصم العالم، وسجلها فى كتبه: رحلة الأحلام فى عالم الأساطير، وعالم العجائب، والغرائب.

* من أشهر كتبه أيضا موسوعة «الأم» والرأى العام والمخطط الصهيونى. والقهيلا، وفن الدعاية والمخطط الصهيونى. ونحو إعلام دولى جديد.

* يعمل رئيسا لتحرير جريدة «المستقبل» جريدة الجرائد المحلية ومديراً لتحرير مجلة «أكتوبر» ورئيسا لتحرير مجلة عالم القصة وقد تولى رئاسة تحرير العديد من الصحف والمجلات السكندرية: جريدة الاتحاد المصرى. ومجلة «أمواج» والفجر الجديد.

* يعكف الآن على إنجاز وإصدار «موسوعة المحمديات» التى تضم رؤى جديدة فى السيرة العطرة لسيد الخلق والأنام سيدنا محمد ﷺ شفيعنا يوم القيامة والفرقان من خلال خمسمائة كتاب فى الشرق والغرب.

محتويات الموسوعة المحمدية

ص	ص	ص	ص
٣٩	٥	١٠	لماذا هذه الموسوعة المحمدية
٤٠	١١	١١	مولد النور
٤١	١٢	١٢	شعاع الحب الإلهي
٤٢	١٣	١٣	وأعماهم الله
٤٣	١٤	١٤	وعاد محمد ﷺ إلى أمه
٤٤	١٥	١٥	زيارة قبر عبد الله
٤٥	١٦	١٦	طيف لا يغيب في قلب الحبيب
٤٦	١٧	١٧	وأصبح يتيمًا إلا من رعاية الله
٤٧	١٨	١٨	أدبه ربه فأحسن تأديبه
٤٨	١٩	١٩	قصة بحيرا
٤٩	٢٠	٢٠	خاتم النبوة
٥٠	٢١	٢١	أحذر عليه يهود
٥١	٢٢	٢٢	حرب الفجار
٥٢	٢٣	٢٣	قصة خديجة بنت خويلد
٥٣	٢٤	٢٤	زواج خديجة
٥٤	٢٥	٢٥	صفات الرسول ﷺ
٥٥	٢٦	٢٦	أوصاف الرسول ﷺ
٥٦	٢٧	٢٧	إعادة بناء الكعبة
٥٧	٢٨	٢٨	محمد ﷺ والحجر الأسود
٥٨	٢٩	٢٩	أول بيت وضع للناس
٥٩	٣٠	٣٠	أولاد الرسول ﷺ
٦٠	٣١	٣١	بنات الرسول ﷺ
٦١	٣٢	٣٢	في غار حراء
٦٢	٣٣	٣٣	الرياضة الروحية لليوم العظيم
٦٣	٣٤	٣٤	اقرأ
٦٤	٣٥	٣٥	زملوني .. زملوني
٦٥	٣٦	٣٦	تلك رسالة ربه
٦٦	٣٧	٣٧	لقد جاءه الناموس الأكبر
٦٧	٣٨	٣٨	انقضى عهد النوم والراحة

٩٩	هل المال ..أساس الحياة ؟	٦٨	بداية المؤامرة
١٠٠	ماهى عقيدة قريش ازاء الرسول ﷺ	٦٩	كيف ينالون من محمد ﷺ
١٠١	ان هذا الا افك افتراه	٧٠	أحد .. أحد .. قالها بلال
١٠٢	خرافة " الغرائيق "	٧١	صبرا آل ياسر
١٠٣	حديث الغرائيق مؤامرة	٧٢	من أوائل الذين غذبتهم قريش
١٠٤	حديث الغرائيق .. من وضع الزنادقة	٧٣	وازداد عدد المعذبين
١٠٥	دحض حجج المستشرق "موين"	٧٤	حتى الرسول ﷺ عذبه
١٠٦	احتجاج ضعيف وسقيم	٧٥	اسلام حمزه
١٠٧	ان تتبعون الا الظن	٧٦	اغراء الرسول ﷺ
١٠٨	"الغرائيق " اسم طائرمائى	٧٧	تنزيل من الرحمن الرحيم
١٠٩	لو وضعوا الشمس فى يمينى	٧٨	فاسألوه عن ثلاث
١١٠	الغرائيق حديث خرافة	٧٩	الا ان يشاء الله
١١١	قد اسمعتهم ما يكرهون	٨٠	لا تسمعوا لهذا القرآن
١١٢	سلاح المقاطعة	٨١	الرحمن علم القرآن
١١٣	حصار قريش لبني هاشم	٨٢	اول من هاجر من المسلمين
١١٤	وفشل حصار قريش	٨٣	لماذا غضب النجاشى؟
١١٥	وتفكك حصار قريش	٨٤	كنا أهل جاهلية
١١٦	الأرواح التى تسكن الأصنام	٨٥	وبكى النجاشى
١١٧	فكرة الغيب عند العرب	٨٦	النجاشى "أصحمه" اكرم المسلمين
١١٨	نقص صحيفة المقاطعة	٨٧	النجاشى "أصحمه" اول من أسلم من الملوك
١١٩	فك الحصار عن بنى هاشم والمطلب	٨٨	لم يخذع النجاشى
١٢٠	الهدنة المؤقتة	٨٩	هجرة المسلمين للحبشة كلهاخير
١٢١	كلمة واحدة .. تملكون بها العرب	٩٠	عمر بن الخطاب
١٢٢	تقولون لا إله إلا الله	٩١	اسلام عمر
١٢٣	عام الحزن	٩٢	عمر بن الخطاب .. وسورة "طه"
١٢٤	موت خديجة	٩٣	أمنت بالله ..قالها عمر بن الخطاب
١٢٥	لا تبك يا بنىة .. فإن الله ماتع أبك	٩٤	طلب عمر بن الخطاب الجهر بالصلاة
١٢٦	قذارة الإبل فى كتفى الرسول	٩٥	هل محمد ﷺ رسول الله حقا؟
١٢٧	مابهذا بعثت اليكم	٩٦	سر القرآن الكريم
١٢٨	حرب التعجيز	٩٧	والحسد ..كان مأساة قريش
١٢٩	ابو جهل ..يحاول قتل النبى ﷺ	٩٨	لماذا لم تؤمن قريش ؟

١٤٦	الإسراء والمعراج	١٣٠	واصبر .. كما صبروا
١٤٧	حول الإسراء والمعراج	١٣١	واتجه الرسول ﷺ الى الطائف
١٤٨	متى يخف وزن الإيمان في النفوس	١٣٢	ووقفت "تقيف" ضد الرسول ﷺ
١٤٩	مشاهد من الإسراء والمعراج	١٣٣	يا محمد .. اخرج من بلدنا
١٥٠	اللهم نجنا من عذاب النار	١٣٤	اللهم انى اليك اشكو ضعف قوتى
١٥١	ثمار .. الإسراء والمعراج	١٣٥	وكلما ضاقت حلقاتها فرجت
١٥٢	الشر يحمل الخير في ثنياه	١٣٦	إن لم يكن بك غضب على
١٥٣	زواج الرسول ﷺ من سودة	١٣٧	عداس يكرم النبى ﷺ
١٥٤		١٣٨	ارجو أن يخرج الله من أصلاب الكفار من بعده
١٥٥	من ابداعات الإبيارى	١٣٩	الجن يستمعون الى القرآن الكريم
١٥٦	من ابداعات الإبيارى	١٤٠	المطعم بن عدى .. يجير الرسول ﷺ
١٥٧	من ابداعات الإبيارى	١٤١	اسواق العرب فى موسم الحج
١٥٨	محتويات الموسوعة المحمدية	١٤٢	قريش تستعد لتسوية الدعوة
١٥٩	محتويات الموسوعة المحمدية	١٤٣	قريش تحذر من سحر محمد ﷺ
١٦٠	محتويات الموسوعة المحمدية	١٤٤	لا حاجة لنا بك
		١٤٥	الرسول ﷺ يعرض نفسه على القائل

[دار حمادة للطباعة]

رقم الإيداع : ١٩٨٤٣ / ٢٠٠٥